

الباب الأول

مفهوم الهوية بين الجماعات اليهودية فى المجتمعات الغربية

obeikandi.com

تمهيد :

إذا كان البعض يرى أن مفهوما "الشخصية" أو "الهوية" يشيران إلى نفس المعنى، ألا وهو: نتاج تفاعل بين مجموعة من البشر، ومركب من الظروف البيئية والتاريخية الثابتة على مدى زمني معقول، فإن هذا الأمر لم يتوفر للجماعات اليهودية التي إنتشرت في بقاع الأرض المختلفة، وعاشت تحت ظروف اجتماعية مختلفة، وتأثرت بهويات هذه المجتمعات بشكل أو بآخر، ونتيجة لذلك فإنه يمكن استخدام صيغة الشخصيات اليهودية، والهويات اليهودية، وصيغة الجمع لا تنكر الخصوصيات اليهودية، ولكنها لاتجمع بينها وكأن هناك صفة جوهرية أو عالمية كامنة في كل اليهود. ومن هنا يمكننا أن نتحدث عن الشخصية أو الهوية اليمنية اليهودية في أواخر القرن التاسع عشر، أو الشخصية الخزرية اليهودية في القرن التاسع، أو الشخصية الأشكنازية في إسرائيل، أو الشخصية السفاردية من أصل سورى في أمريكا اللاتينية. ويمكن دراسة تطور هذه الشخصيات اليهودية المتنوعة والمختلفة بدراسة سماتها المستمدة من أزمنة وأمكنة مختلفة (١).

ومن الآراء المختلفة حول وضع اليهود في أنحاء العالم، أن اليهود يعيشون في "المنفى" (٢)، وأن هذا الوضع كان من بين الأسس الأولية للغاية التي تشكل مضمون الوجود اليهودي، وأنه في الجزئيات و الذرات التي تبنى هويته الروحية والوجودية، وأنه جزء عضوي من الخرافات القومية لليهود، وأن المنفى ليس حالة خارجية مفروضة، بل حالة داخلية اختارها اليهود ويشتاقون إليها، وأن وجود اليهود يتخطى أى ظرف من الناحية الدينية، وكذلك أيضا من الناحية القومية. إذ أن اليهود يمكنهم أن يصنعوا أكبر الرذائل في نظر إلههم، ويمكن أن يفقدوا كل ملامح هويتهم القومية ويظل وجودهم مضمونا، إنهم يُعاقبون ولكنهم لا يُبادون على الإطلاق. و في مقابل هذا يُمنحون الوجود السيادي في فلسطين، كما يمكنهم أن يتواجدوا خارج فلسطين وجوداً مؤقتاً منحدرًا، ولكنهم يظلون بمثابة وجود (وقليلة هي الشعوب التي تستطيع أن تتصور لنفسها كيف يمكن المحافظة على الهوية القومية بينما الشعب كله منفي من وطنه) (٣).

إن التغيرات التي صاحبت الهوية اليهودية، كما يقول أستاذ علم النفس الاجتماعي بالجامعة العبرية، تتبع من التطورات الفريدة والخاصة بكل مجتمع، من تغيرات طرأت على وضع اليهود في العالم غير اليهودي، وتأثير حركات سياسية واجتماعية، يهودية وعامة، على حياة الشعب اليهودي. وليس المقصود أشكال التغيرات التاريخية، وإنما لإبراز وتأكيد أن الهوية

() المسيري (. عبد الوهاب)، من هو اليهودي ؟ ، مرجع سابق، ص .
() مصطلح يستخدمه المفكرون الصهاينة ليؤكدوا على أن اليهود كانوا قبل قيام دولة إسرائيل في المنفى ، وأنه فرض عليهم بالإجبار، وبالتالي فإن إقامتهم فيه مؤقتة إلى أن يعودوا إلى "ارض الميعاد" في إسرائيل .
() () اليهود واليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات، القاهرة، الطبعة الأولى، .

اليهودية، كما نعرفها اليوم، هي ثمرة التطور التاريخي، وتعرضت للعديد من القوى التي أثرت فيها في الماضي، ومستمرة في تشكيل الهوية اليهودية في الحاضر " (١) .

ويمكن تقسيم المظاهر التي أثرت على تشكيل الهويات عند الجماعات اليهودية في العالم إلى جزءين: الجزء الأول: وهو "الجيتو" (٢)، والذي كان يعيش اليهود بداخله منعزلين عن المجتمعات التي عاشوا فيها، والذي أثر تأثيراً مباشراً على تشكيل هويتهم. والجزء الثاني: هو "الهسكالاه" (٣) أو "حركة التنوير اليهودية"، والتي أثرت تأثيراً كبيراً على هوية اليهود واندماجهم بداخل الشعوب التي عاشوا بينها، وذويان هويتهم داخل هويات هذه المجتمعات .

من هنا قمت بتقسيم هذا الباب إلى فصلين:

الفصل الأول: مفهوم "الهوية" بين الجماعات اليهودية في أوروبا .

الفصل الثاني: مفهوم "الهوية" في ضوء حركة التنوير اليهودية .

() הרמן (שמעון), זהות יהודית (מבט פסיכולוגי-חברתי), הספרים הצינתי, ירושלים, 1979, עמ' 73 .
() الجيتو: ل أن يكون هذا الاصطلاح قد أستخدم أولاً لوصف حي من أحياء البندقية يقع بالقرب من مسبك لصهر المعادن، يسمى جيتو أو بوجيتو، وكان هذا الحي محاط بالأسوار والبوابات، اتضح أنه هو الجزء الوحيد من المدينة المسموح فيه بالإستييطان لليهود. وقد ظهرت أول حارة يهود لها أحكام وقيود مخصصة في مدينة البندقية عام ١٥١٦ م ، للحد من جشع اليهود، ولكبح جماح أطماعهم الاقتصادية. تشير أيضاً إلى بعض الأحياء المتماثلة التي تسكن فيها جماعات غير يهودية، في بعض مدن جنوب أفريقيا، ثم أصبحت بعد ذلك تطلق على أحياء سكنية خاصة باليهود. :

Encyclopedia Jodiaca, volume 7, keter publishing house, Jerusalem, Israel, 1971, p. 542.
Roth (Cecil), The concise Jewish encyclopedia, Amerindian book , new American library, 1980 p. 19

() "الهسكالاه" (השכלה): هي كلمة عبرية تعني: التنوير أو الإستارة، أطلقت على الحركة التي ظهرت بين يهود أوروبا، تأثراً بالنهضة الثقافية الأوروبية، في منتصف القرن الثامن عشر، وطالبت بنشر العلم والثقافة بين سواد الشعب، وإلغاء الحواجز بين اليهود وسائر الشعوب، وأول من استخدمها بهذا المعنى هو يهودا جيلتس عام 1773. هذه الحركة انبعاث الأدب العبري الحديث، وبعث اللغة العبرية كلغة كتابة وتخطب. وسوف يرد الحديث عن هذه الحركة في الفصل التالي. (سعيد عبد السلام)، دراسة معجمية لمصطلحات الأدب، مع مسرد للألفاظ العربية، دار أولاد عليوه للطباعة والتجليد، القاهرة -

الفصل الأول

مفهوم "الهوية" بين الجماعات اليهودية فى أوروبا

obeikandi.com

تعتبر مرحلة الجيتو مرحلة هامة فى تاريخ اليهود، والتي شكلت فى حد ذاتها أهم ملامح هوية اليهود فى الشتات، بما يمكن أن نطلق عليه اسم "الهوية الجيتوية"، والتي كانت لها تأثيراً كبيراً، فيما بعد، على الشخصية اليهودية، وعلى تشكيل هويتها بعد قيام دولة إسرائيل، وسوف نتناول أبرز هذه السمات، والملامح التى شكلت هوية اليهود داخل أسوار الجيتو ...

– العزلة كملح من ملامح الهوية فى الجيتو :

إن ما يُقال له "المسألة اليهودية" هو فى جانب أساسى منه مشكلة "الهوية اليهودية" فى التشكيل الحضارى الغربى، التى تعود بجذورها إلى العصور الوسطى فى الغرب، إذ أن أعضاء الجماعات اليهودية لعبوا هناك دور الجماعات الوظيفية (١) الوسيطة، كتجار ومرايين، الأمر الذى أدى إلى عزلتهم عن بقية أعضاء المجتمع، ومما دعم هذه العزلة علاقات الجماعة الوظيفية اليهودية (فى كل بلد أو مدينة أوروبية) مع الجماعات الوظيفية اليهودية الأخرى فى أنحاء العالم الغربى والإسلامى، وقد خلقت هذه العلاقات وهم الوحدة، بحيث كان المراقب الخارجى يتصور أن اليهود يشكلون وحدة قومية بسبب علاقاتهم التجارية والمالية، وهم فى الواقع جماعات غير متجانسة، تنتمى إلى تشكيلات حضارية مختلفة. ومن أسباب تدعيم العزلة أيضاً، التصور المسيحي لهم بإعتبارهم قتلة المسيح، وقد تبدى كل هذا فى شكل استيطان وتوطين اليهود فى الجيتو (٢) .

وكان العزل السكنى داخل الجيتو هو قانون اليهودى فى المدينة، وكثيراً ما يرتد هذا العزل إلى قوانين الدولة والشعوب التى يعيش اليهود بين ظهرانيها، وعلى الرغم من أنهم كانوا يدعون، أنه يُفرض عليهم بالقوة، من قبيل التباعد والاستعلاء عليهم كقوة من المنبوذين، ولإحكام الرقابة والسيطرة عليهم، إلا إنه كثيراً ما كان يرجع هذا الوضع إلى اليهود أنفسهم، سعيّاً منهم كأقلية مسحوقة، إلى التركيز والاحتشاد داخل نقطة واحدة، ضماناً للحماية فى حظيرة واحدة (٣) . وقد اعتمد اليهود على مسألة الجيتو للتأكيد على عزلتهم عن المجتمعات التى عاشوا فيها، وأنهم عاشوا كشعب مستقل بصفته "شعب الله المختار"، و كانت لهم لغتهم وثقافتهم الخاصة التى تميزهم عن بقية مواطنى الدولة التى يعيشون فيها. فتميزت الشخصية اليهودية

(١) الجماعات الوظيفية : هى مجموعات بشرية صغيرة يقوم المجتمع بإسناد وظائف شتى إليها، ويرى أعضاء هذا المجتمع أنهم لا يمكنهم الإضطلاع بها لأسباب مختلفة، وقد تكون هذه الوظائف مسببة فى نظرة المجتمع (كالتنجيم -)، أو مميزة (-) . : المسيرى (. عبد الوهاب)، تاريخ الفكر الصهيونى جذوره ومساره وأزمته، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الاولى .

(٢) المسيرى (. عبد الوهاب)، من هو اليهودي؟، مرجع سابق، ص .

(٣) (.)، اليهود أنثروبولوجيا، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، القاهرة .

بالازدواجية، فهي تجمع بين الانعزالية، والانطواء، والإحساس بالتفوق، والتميز عن المجتمع الذي تعيش فيه، فهي تعيش في جيتو نفسى أكثر مما هو واقعى (١).

كما يرى اليهود أن دينهم ليس ديناً عاماً، ولكن ديناً خاصاً بهم فلا يصح أن يدخله أحد غيرهم، ورأوا أن العزلة تحقق لهم هذا الغرض، حيث يظل الدين مغلقاً عليهم وحدهم (٢).

ويقول "ول ديورانت" (١٨٨٥-١٩٨١): "كان اليهود فى العادة يعيشون فى عزلة اختيارية عن غيرهم من الأهلىن، لتيسر لهم هذه العزلة حياتهم الاجتماعية، وسلامتهم الجسمية، ووحدهم الدينية، وكان كنيسهم مركز الحى اليهودى الجغرافى والاجتماعى والاقتصادى، يجتذب إليه معظم مساكن اليهود، ولهذا ازدحمت المساكن حوله إزدحاماً كبيراً، وأضر ذلك الازدحام بالصحة العامة والخاصة، فقد كادت المساكن أن تكون أحياء قذرة، وبيئة مزدحمة بالسكان" (٣).

وقد اتضح فيما بعد أن عزلة الجيتو كانت اختياراً من اليهود منذ البداية ، وتعمقت داخلهم مع مرور الوقت، كما يعترف "ماكس نورداو" (٤) برغبة اليهودى بالانعزال داخل أحياء الجيتو، وأن هذه الأحياء كانت بمثابة ملجأ يحتمون فيه من الاضطهاد، فيقول: "إن اليهودى حرص على عزل نفسه، فكان إذا لم تضعه السلطات فى مكان منعزل، تراه يبنى لنفسه منطقة منعزلة من تلقاء نفسه، يسكن فيها بمفرده، دون أن يختلط مع المسيحيين إلا فى أمور العمل، وبالرغم من أن كلمة حارة اليهود أو منطقة الانعزال تعتبر اليوم وصمة عار واحتقار، لكن علماء النفس، والقومية، والتاريخ، يعرفون أن مناطق العزلة كانت لليهودى فى الماضى بمثابة ملجأ وليس سجنًا". كما يعترف الكاتب اليهودى "يوسف حايم برينر" (٥) بإيجابية الحياة داخل الجيتو، حيث يرجع لها الفضل فى الحفاظ على حياة اليهود، فقال: "كان من الطبيعى أن يتوقع

(١) (زبيدة محمد)، اليهود فى العالم العربى- دراسة تاريخية فى قضايا الهوية- الأول، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة .

(٢) (.)، الشخصية الإسرائيلية، دار المعارف،

(٣) ديورانت (ول وايريل)، قصة الحضارة، عصر الإيمان، ترجمة:

الرابع، الجزء الرابع عشر، دار الجيل، بيروت، لبنان

(٤) (سمحا مئير زيدفلد) - : أديب وطبيب، الصهاينة، وهو الزميل

والساعد الأيمن لهرتسل، ولد فى بودابست، وتوفى فى باريس، انتقد بشدة الوضع الاجتماعى والثقافى فى أوروبا، وخلال المؤتمر اليهودى فى لندن م، دعا إلى تهجير نصف مليون يهودى من أوروبا الشرقية لدعم الاستيطانى اليهودى فى فلسطين. ترجمت كتبه ومقالاته إلى عدة لغات. : (أفرايم مناحم) المصطلحات الصهيونية، ترجمة: أحمد بركات العجرى، دار الجليل للنشر والأبحاث والدراسات الفلسطينية،

(٥) (يوسف حايم برينر יוסף חיים ברנר) - : ولد فى روسيا وجاء إلى فلسطين عام

وتوفى على يد الثوار الفلسطينيين فى اشتباك وقع بينهم وبين المستوطنين الصهاينة عام أول مجموعة قصصية ، وكتب عدداً من القصص والروايات والمسرحيات ، وترجم بعض الأعمال الروسية والألمانية إلى العبرية ، من أعماله : " סודרה " (من هنا ومن هناك מסאן ומסאן ") "قائمة من الماضى القريب שממה מן העבר הקרוב " (.) .

Hebrew writers, General Directory of Hebrew writers ,the institute for the translation of Hebrew literature ,printed in Israel,1993 ,p. 40

اليهود داخل صدقاتهم السلحفائية عندما كانوا يتعرضون للاضطهاد، ويتطلعون من خلال الشقوق الموجودة في جدران كهوفهم لأيام أفضل، لقد كان لنا في حارات الجيتو تأميناً كبقائنا^(١).

ولأن المعتقدات الدينية لليهود تنص على عدم الاختلاط بغير اليهود، فقد أدى هذا إلى تعزيز فكرتهم للتكتل في أحياء خاصة بهم، وأحاطوها بأسوار يغلقون أبوابها عند غروب شمس كل يوم. وإن كانت حجتهم في إقامة أحياء يهودية خالصة هي أن لهم تقاليد وعادات خاصة بهم، لا يريدون اضطلاع غير اليهود عليها^(٢).

وهكذا كانت العزلة خاصية نفسية، وسلوكاً تقليدياً، التزم به اليهود في كل مكان وزمان، وكانت الأفكار العنصرية هي التي تُحدد علاقاتهم بالآخرين، وأصبح تكتل اليهود يُشكل دولة داخل دولة، مما أثار شكوك الحكومات التي خشيت تمرد هذه الفئة وانفلات زمامها، فقررت عزلهم في أحياء خاصة بهم كي تستطيع إحكام الرقابة عليهم، حينئذ أصبح هناك عامل إجبار خارجي على اليهود، أي أن الجيتو كان في البداية اختيارياً، ثم أصبح بمرور الوقت إجبارياً^(٣). لقد تصور اليهودي داخل الجيتو أن الأشكال الثقافية التي كانت سائدة، سواء كانت الثقافة الشعبية المتمثلة في الرقص والغناء، أو كلاسيكية متمثلة في الدراسات الدينية والفقهية، أنها يهودية خالصة، وتتسم بخصوصية يهودية، ولذا فقد كانت ثقته بنفسه تزداد، ويزداد إحساسه بهويته اليهودية، وفي نهاية الأمر عزلته عن العالم^(٤).

وقد أدى انفصالهم عن الزمان والمكان اللذان يعيشان فيه، إلى تعميق الإحساس بالعزلة والغربة نحو المجتمع المضيق، ويعيشون فيه دون أن يكونوا منه، ويتطور لديهم إحساس عميق بهويتهم المستقلة، ومع ذلك فإن المعجم الحضاري لأعضاء الجماعة الوظيفية، لا يختلف في واقع الأمر عن معجم مجتمع الأغلبية، إلا في بعض التفاصيل الخاصة، فهم آله لا وطن لها اسماً، ولكنهم يعيشون فعلاً في المجتمع المضيق، يؤدون وظيفتهم فيه بشكل يومي، ومن ثم فهويتهم هوية وهمية^(٥).

مما سبق نجد أن العزلة، سواء التي فرضها اليهود على أنفسهم، أو التي فرضت عليهم وميزت طابع حياتهم، قد أثرت على البناء النفسي والاجتماعي لهويتهم، وجعلتهم يشعرون بأن

(١) . سناء عبد اللطيف حسين)، الجيتو اليهودي- دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، .

(٢) عبد المجيد .)، اليهود في الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة .

(٣) . ناء عبد اللطيف حسين)

(٤) المسبيري .) الوهاب (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الرابع، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة

(٥) المسبيري .) عبد الوهاب (، تاريخ الفكر الصهيوني جذوره ومساره وأزمته، مرجع ساب

اليهودى، بأن هذا الانعزال أصبح درع الأمان للحفاظ على الطائفة اليهودية وشريعتها، حيث كانت هذه الإقامة المنعزلة هي الشرقة التي تحافظ على حياتها الروحية، إلى أن يحين الوقت الذى يشاء فيه الرب إعادته إلى ما يسمى "أرض الميعاد"، مع حلول الخلاص المسيحانى (١).

لقد كانت الأماكن داخل الجيتو مزدحمة جداً، مما جعل اليهود فيها صيداً سهلاً للمهاجمة (٢)، وهو ما عزز شعورهم بانعدام الأمن، وإحساسهم الدائم بالخطر والاضطهاد، كل ذلك جعل اليهودى لا يقدم على اقتناء أشياء ثمينة فى بيته، فقد استخدم بعض اليهود حجراتهم كمكان للعمل والسكن معا.

وكانت منازل اليهود فى بعض أحياء الجيتو عبارة عن أكشاك خشبية رائحتها متعفنة، وفوق هذه الأكشاك كان اليهود يضعون عيدان القش والتبن التى كانوا يستخدمونها فى معيشتهم، مما يساعد على اشتعال النيران، والتسبب فى إندلاع الحرائق، التى كانت أحياناً تحرق منازل حتى جيتو بأكمله قبل وصول النجدة من خارج الجيتو (٣).

ويصف "أفراهام مابو" (٤)، فى رواية "المنافق لا يزال" (٥) البيت الذى قطن فيه فى (كوفناه)، إحدى ضواحي روسيا، فيقول: " نبتت على سطح هذا البيت النباتات الشيطانية، وقد تعفنت ألواح الخشبية، وتداعت حوائطه وأثاثه، وفُرشت أرضية هذا البيت بألواح خشبية مدهونة بدهان باهت مائل للإحمرار، وغطيت حوائطه بالطين والحصى، لإخفاء التصدعات والشقوق فى البيت " (٦).

وقد جلب الشعور بانعدام الأمن داخل أحياء الجيتو، ظواهر سيكولوجية نفسية، وسلوكية، أثرت على الشخصية والهوية اليهودية، وكان من بينها، اليأس وفقدان الأمل، الذى سيطر على اليهود داخل الجيتو. وقد عبر بعض الأدباء عن روح اليأس ومشاعر العزلة فى

() () ، إشكالية الهوية فى إسرائيل، مر .

() (Roth (Cecil), The concise Jewish encyclopedia, p189

() (. سناء عبد اللطيف حسين) الجيتو اليهودى، مرجع سابق، .

() أفراهام مابو אברהם מאפו (-) : وُلد فى ليتوانيا فى روسيا،

حدر من أسرة اشتهرت بالتصوف، كما درس دراسة أوروبية، انضم إلى حركة التنوير اليهودية ودرس الألمانية والفرنسية والروسية. وتشبع مابو بروح العهد القديم ولغته فى إنتاج أعماله الأدبية، وكانت أول أعماله رواية "محبة صهيون אהבת ציון" ()، وقد تُرجمت إلى العديد من اللغات، وقد اهتمت الرواية بتصوير يهودى العهد القديم تصويراً دقيقاً، وأصدر روايته التاريخية "خطيئة السامرة אשמת המצור" () " לא צלילה " () . : (. فؤاد حسنين)، الأدب اليهودى المعاصر، معهد البحوث والدراسات العربية ، . وأنظر أيضاً: לקסיקון הספרות העברית

http://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/1/1/2010 : .

() صدر الجزء الأول من رواية " "

م صدر الجزء الثالث، أما الأجزاء الأخيرة فقد صدرت بعد وفاته فى عام .

() (. سناء عبد اللطيف حسين)، الجيتو اليهودى، مرجع سابق، ص .

قصصهم، فقد عبر مثلاً "يوسف حاييم برينر" عن عالم البطل النفسى فى قصة "إلى هناك
למחנה"، الذى يعتبر نموذجاً لليهودى، وجسم ما فيه من صراعات ومشاعر العزلة عند تركه لبيت
آبائه، يقول:

"כולם יושבים בבית-אבותיהם, לכולם פה אחים ואחיות קטנים וחביבים ואני עוזב ונכלם,
דרך ונחם, זר ומבוזר, עזר בארץ נכר... שם לא הייתי מוכרח לנוע ככלב אחרי אוכל ביום
טוב, לאכול במקום אחד וללון במקום אחר..."^(١)

" كلهم يجلسون فى بيت آبائهم، لهم هنا جميعاً أخوة وأخوات صغار وأحباء .. وأنا؟ مهجور
خجول، فقير محطم، غريب ومحتقر، شاب فى أرض غريبة ... هناك لم أكن مضطراً للتجول
كالكلب وراء الأكل فى العيد، أكل فى مكان وأنام فى مكان آخر " .

كما برزت الشخصية اليهودية المنطوية على نفسها نتيجة لحياة اليهود فى الجيتو زمناً
طويلاً، وانفصالهم عن المجتمع الذى عاشوا فيه، وأصبحت سمة الانطواء على الذات صفة
مميزة ورئيسة لليهود الجيتو، لأن هذه الصفة أصبحت عنصراً من عناصر عزلته. فأصبح
اليهودى وبصفة خاصة اليهودى الأشكنازى ميالاً إلى الانطواء، خجولاً، مضطرباً، عند التعامل
مع الغرباء وهذا ما أثبتته الأبحاث التى قام بها "سبيرو" على الشباب الإسرائيلى، حيث يقول:
"إنهم يبدون كما لو كانوا قد أحاطوا أنفسهم بقوقعة لا تمتد شخصياتهم إلى خارجها إلا فيما ندر"،
ويشير إلى أن هذا الانطواء أخذ مظاهر متعددة، وهى الخجل والاضطراب عند التعامل مع
الغرباء، وحرص كل منهم على الاحتفاظ بمسافة سيكولوجية معينة تفصله عن الآخرين، وندرة
إقامتهم لعلاقات انفعالية وثيقة بين بعضهم البعض^(٢) .

ومن السمات السلوكية التى ميزت شخصية يهود الجيتو هى حب المال والحرص عليه
وعبادته لدرجة البخل الشديد عند الكثير منهم، حيث أدت الصفة المادية للشخصية اليهودية إلى
صفة أخرى، هى الشخصية البخيلة، حتى إنها أصبحت أصل من الأصول المكونة للنفسية
اليهودية، لأن الظروف التى عاشها اليهود داخل أسوار الجيتو، وما تعرضوا له من اضطهادات،
وكذلك عدم استقرارهم فى بلد محدد لفترات طويلة، كل هذا أدى إلى أن يصبح المال شيئاً
جوهرياً فى حياتهم^(٣).

() برنر (يوسف حاييم)، كل سبى . ح. ح. برنر، הוצאת דביר، תל-אביב 1956 , סיפור "למחנה".

() . (. سناء عبد اللطيف حسين)، الجيتو اليهودى، مرجع سابق، ص .

() . (.)، الشخصية الإسرائيلى، مرجع سابق، ص .

وفى الأدب العبرى ما يشير إلى هذه الصفة، ونذكر منها قصة " الإحسان الخفى " (١)،
للأديب "ألكسندر زيسكند ريبينوبتش" (٢) المعروف باسم "آزار".

لقد أثرت حياة الجيتو على اليهود تأثيراً كبيراً على شخصيتهم وهويتهم اليهودية المنغلقة داخل أسوار الجيتو، حيث أصبح الخوف الناتج من توقع العدوان ضمن مكونات النفسية اليهودية، لذلك نجد أنه على الرغم من المستوى الحضارى المتدنى، والفكر المتخلف الذى ساد الحياة فى الجيتو، إلا أن اليهود كانوا يشعرون بالأمان داخل حدوده، وكانوا ينظرون إلى العالم الخارجى بعين الشك والريبة، وأنه عالم مليء بالأخطار لدرجة أنه عندما حاولت اليهودية الإصلاحية أن تهدم أسوار الجيتو، وأن تستجيب لنداء الاندماج، بعد أن انطلقت شعارات الحرية فى العصر الحديث، رفض الصهيوينيون هذا الأمر، وعملوا على إقامة دولة إسرائيل لتكون جيتو كبير يعيش فى ثناياه يهود العالم حتى يشعرون بالأمان (٣) .

– الشعور بالاضطهاد وتأثيره على "الهوية اليهودية" :

إن شعور اليهود بالاضطهاد كان من الظواهر التى شكلت هويتهم داخل الجيتو، ولذلك فقد حرص اليهود على أن يتقربوا إلى حكام البلاد الأوروبية، التى كانوا يحلون بها بكل الطرق الشريفة وغير الشريفة، وعن طريق الهدايا والرشوة، ليحتموا بهم ويكونوا مأمناً لهم من غضبة الشعب التى كانوا يتوقعونها دائماً، لشعورهم أنهم مكروهون أينما حلوا. ويبدو أن هذا الشعور هو الذى جعل الجاليات اليهودية تختار الحى الخاص بها عادة قريباً من قصور الحكام (٤) .

ومن الأمور التى كانت تشير إلى هذا الاضطهاد، ما ورد فى دائرة المعارف البريطانية، أن مؤتمراً لاتييران الثالث والرابع اللذين عقدا فى عامى (١١٧٩م، ١٢١٥م) (٥)، أوصيا بفصل المسيحيين عن اليهود، وحرما المسيحيين السكنى بين اليهود والدخول فى خدمتهم، وفرضا على

(١) " : " " المصور اليهودى البارع الذى يتقاضى أجراً مرتفعاً، ومع ذلك فهو بخيل جداً لا ينفق إلا القليل، ويقوم فقط بإدخار أمواله، ومظهره يدل على بخله الشديد، حيث الملابس البالية، وكذلك مسكنه القذر، وذات مره عندما طلب منه صاحب العمل الذى يعمل عنده إقتراض بعض الأموال، رفض وقال أنه لا يملك شيئاً وفى النهاية مات سلومون فى غرفته القذرة، ولم يكن يريد حافرو القبور أن يدفنه كالمعتاد، وأرادوا إلقاء جثته فى إحدى الحفر، ولكن إضطروا إلى مراعاة أصول الشريعة اليهودية. : (. سناء عبد اللطيف حسين)، الجيتو اليهودى، مرجع سابق .

(٢) " ألكسندر زيسكند ريبينوبتش אלסנדר-זיסקינד ראבינוביץ (אז"ר)) : ولد فى روسيا لأسرة فقيرة، وتلقى تعليماً تلمودياً شاملاً، وفى فترة شبابه اهتم بأدب الهسكلاه وتعلم بنفس التوراة، كرس نفسه للنشاط الأدبى الصهيونى، والعبرية، من أوائل رجال حركة "محبة صهيون"، ألف عدداً من الروايات والمجموعات القصصية، يمتاز أدبه بالقيم الأخلاقية حيث يتعاطف مع المظلومين، وضحايا التمييز الطبقي، ومن أعماله "צל הסף" ()، "خطيئة חטאת הצידור" () . :

<http://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon1/1/2010>

- (٣) (. سناء عبد اللطيف حسين)، الجيتو اليهودى، مرجع سابق ، ص .
(٤) (. عبد المجيد) .
(٥) (مؤتمراً لاتييران الثالث : هو واحد من خمسة مؤتمرات شهيرة عقدتها الكنيسة الغربية فى الفترة من

اليهود ضرورة وضع إشارة مميزة^(١)، وذلك للحد من سيطرتهم الواسعة على التجارة، وإتقاء لشروورهم، وفتنهم الخطيرة، ومن هنا تفوق اليهود داخل أحياء الجيتو وانعزلوا عن باقي السكان^(٢).

وقد عبر "يوسف حايبم برينر" في رواية "سنة واحدة שנה אחת" (١٩٠٨م)، عن فكرة كراهية "الجوييم"^(٣) لليهود، عن طريق إشارته إلى احتقار القادة الروس للجنود اليهود وشكهم في تصرفاتهم، فيقول:

"שנאת הגויים להודים... אין לשנואה... השנאה להודים... הייתה שנאה עצומה, טמננה, איתנה... היו ההודים ממש לצננים מיני הכל. עליהם תלו את כל הקללה..."^(٤)
"إن كراهية غير اليهود لليهود... لا يمكن تصورها... كانت الكراهية لليهود... كراهية كبيرة، طبيعية، قوية... كان اليهود، في الحقيقة، مثل الشوك في نظر الجميع. ونسبوا إليهم كل اللعنات".

ويضع برينر في موضع آخر من الرواية على لسان الجدة، دعاء بألا يقع حفيدها في أيدي "الجوييم" فيقول :

" ברם סבתה עצמה, משעת החגיגה לכניסת נכדה לחדר וכמו כן ביום שהחזיר ללמוד חומש, הייתה בסת העיקרית, שיפדנו ה' מידי הגויים... הוי, כמה נורא והדבר, כנראה, להיות מסור בידי הגויים " (٥)

" لكن الجدة نفسها، عندما تحتفل بإدخال حفيدها إلى الحيدر^(٦)، كان دعاؤها الرئيسي في اليوم الذي يبدأ فيه دراسة التوراه، هو ليخلصنا الرب من أيدي الجوييم... ويلاه، ما أفظع الوقوع، على ما يبدو، في أيدي الجوييم..."

() كان اليهود يُميزون وفق أوامر من بعض السلطات في العصور الوسطى بشارات معينة يضعونها على ملابسهم، وقد كانت بداية تلك الشارات في العصر الحديث بواسطة النازي في بولندا عام .

() . سناء عبد اللطيف حسين)، الجيتو اليهودي ، مرجع سابق، ص .

() "הגויים الجوييم": كلمة جمع مفردا " "، وأصل اشتقاق الكلمة غير معروف، ويرى بعض العلماء أنها جاءت من أصول غير سامية قديمة جداً، واستخدمها العبريون في العصور القديمة بمعنى الحشرات والهُوام التي تزحف في جموع كبيرة، ثم أصبح يطلق على الناس من السوق والأشرا، وخصصتها العنصرية اليهودية منذ القدم للإشارة إلى الناس جميعاً من غير اليهود، وقد أضاف إليها أخبار اليهود معنى القذارة الروحية والمادية والكفر، وأصبحت تلصق باليهودي الذي يتعدى حدود الدين. . : الشامي(. .)، الشخصية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص .

() ברנר (יוסף חיים)، כל סתבי י.ח. ברנר, כרך ראשון, עמ' 106 .

() שם, עמ' 107 .

() "الحيدر חידר": "חדר" " هو تعبير يُطلق على معهد التعليم الأساسي اليهودي التقليدي، التقليدي، والذي كان خاصاً باليهود الأشكناز الذين كانوا يعيشون في روسيا وأوروبا، وكان يطلق على من يقوم بالتدريس اسم "המלמד" وكان يقام على نفقة المعلم وفي مسكنه الخاص، وفي المعبد أحياناً، وكان يُعرف عند اليهود في البلدان الإسلامية باسم "كُتَّاب كوتاب"، ويُعرف عند يهود اليمن باسم "مدراش מדרש" يهود البلقان باسم "מלמד" . : ()، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية=

ويرى "ف- لوفسكى" أن الجيتو قد فُرض على اليهود، وكان بمثابة سجناً لهم، حيث يقول: "إن الإضطهاد المسيحي لليهود لم يكن منشؤه التعاليم المسيحية، ولكنه القانون الوضعي، الذى حط من قدر اليهود، وضاعف من الظلم والهوان، الذى وقع عليهم، وجعل المسيحي واليهودى عدوين لدودين، ينبغي أن يوضع بينهما حد فاصل فى علاقتهما الإجتماعية، لذلك فرض المسيحيون الجيتو على اليهود ليكون قفصاً وسجناً يعزلهم عن باقى المجتمع" (١) .

ولم يكن تعرض اليهود لمثل هذا الاضطهاد بسبب دينهم، ولكن المسئولية تعود فى معظمها إلى الشخصية اليهودية نفسها. وهذا "برنار لازار" (١٨٦٥م-١٩٠٣م)، الكاتب اليهودى، يضع قائمة طويلة من الأسباب، كلها صادرة عن تطرف اليهود، وتعصبهم، وغلطهم السياسة بالدين، ووضع ذلك كله تحت شعار التكتل العنصرى، وما بداخل أنفسهم من كبرياء تتجلى فى اعتقادهم أنهم "شعب الله المختار" (٢) .

وهكذا نجد كيف أن انعزال اليهود عن الشعوب التى كانت بينهم، كان هو السبب الرئيسى فى اضطهاد تلك الشعوب لهم، وبالتالى أثر على تشكيل هويتهم داخل أسوار الجيتو، بما حواه من عزلة، واضطهاد ، كان لهما أبلغ التأثير على الشخصية، والهوية اليهودية .

وتأثرت الهوية اليهودية داخل الجيتو بالاضطهادات، التى تعرض لها اليهود وقتها، فى أوروبا، وقد أدى الإضطهاد الذى تعرض له اليهود، مروراً بأحداث روسيا ١٨٨١م، وما حدث بعد إغتيال القيصر ألكسندر الثانى قيصر روسيا، وإتهام اليهود بقتله، وما أعقب ذلك من مذابح ضد اليهود فى أحداث عُرفت باسم البوجروم (٣)، والتى على إثرها أصدرت الحكومة الروسية مجموعة من القوانين، عُرفت بإسم قوانين مايو ١٨٨٢ م، والتى تحظر على اليهود أن يعيشوا أو يمتلكوا أى عقار إلا فى المدن الموجودة داخل منطقة الاستيطان اليهودى، كما جعلت من حق السكان الروس فى القرى، طرد اليهود من قراهم، وغيره من القوانين المقيدة لحرية اليهود، وقد أصدرت الحكومة الروسية هذه القوانين، بعد أن قامت خلال سنين عديدة بعدة محاولات لدمج الجماعة اليهودية، اقتصادياً، وحضارياً، فى المجتمع الروسى، وباعت كل هذه المحاولات

=المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، القاهرة
وأنظر أيضاً: "תפ"ד" :
<http://he.wikipedia.org/wiki/1/10/2010>

- (١) . سناء عبد اللطيف حسين) الجيتو اليهودى،
(٢) . (، الشخصية الاسرائيلية،
(٣) « كلمة روسية معناها «التنكيل» » « » ، وهى الغارة الشعواء التى يشترك فيها العامة، متجهين إلى مراكز التجمع اليهودى للفتك بها، ويقسم الكتاب اليهود البوجروم إلى نوعين: أحدهما المخطط المرسوم، الذى سبقه تدبير سرى. ومن أشهر غارات النكال المدبرة، تلك التى حدثت فى جنوب روسيا م، بعد أن وضع اليهود أنفسهم فى موقف المستفيد من حرب الكرم بين الروس وبين تركيا العثمانية م، وذلك بالتلاعب فى الاقتصاد، والاتصال سرّاً بالأتراك. للمزيد أنظر: (.)

بالفشل، فجاءت هذه القوانين وقامت بتقليص نطاق منطقة الاستيطان، كما قضت على فرص اندماج بعض القطاعات اليهودية في المجتمع الروسي (١) .

وأبرز الأدباء اليهود في هذه الفترة كان الأديب "يهودا ليف جوردون" (٢)، وقد تناول رفضه للاضطهاد في قصائده (بين أسنان الأسود בין אֲשָׁנֵי שׁוּמְרֵי הַיָּם) ، والتي دعا فيها زعماء إسرائيل أن يُعلموا أبناءهم فنون الحرب ليكونوا محاربين، حتى يتقوا ظلم المضطهدين، فيستطيعون الدفاع عن أنفسهم. وأيضاً عبّر عن هذا الأمر في قصيدته (في أعماق البحر במצולות הים). ويختار "جوردون" موضوعات أشعاره من القصص الخيالية، حتى يبرز أحداث اليهود المأساوية عبر التاريخ، ففي القصيدة الأولى "بين أنياب الأسود" تُحرق القدس ويتحطم جبابرتها ويموتون بين أنياب الأسود. وفي القصيدة الثانية "في أعماق البحر" شعب ضائع من سبي أسبانيا، يصطفون في السفن المبحرة في عرض البحر إلى مصير مجهول (٣).

ويمكننا أن نتفق في الرأي مع د. رشاد الشامي بأن دراسة الشخصية والهوية اليهودية لا يمكن فهمها إلا إذا وقفنا على دراسة ظواهر التكوين السيكولوجي، التاريخي، والأيدولوجي للشخصية اليهودية، والتي صاحبت مراحل تكوين هذه الشخصية ابتداءً بمرحلة "الحيتو" في "الشتات" اليهودي، ومرحلة الانعزالية اليهودية، وهي المراحل التي خلقت، وعملت على تثبيت ظاهرة الروح العدوانية في الشخصية اليهودية والإسرائيلية فيما بعد، كرد فعل لكل هذه المراحل أيديولوجياً، وتاريخياً، ونفسياً (٤) .

وقد تحولت حياة اليهود إلى جحيم بعد أن أصبحت السلطة في أيدي النازية، وقد أثرت هذه الصدمة على يهود الحيتو على المستويين النفسي والإقتصادي، وأدرك غالبية اليهود الذين قد اندمجوا في المجتمع الألماني، أن مصيرهم مرتبط بمصير الشعب اليهودي، وخاصةً بعد الفظائع التي ارتكبتها النازيون في حقهم، طبقاً لما ورد في دائرة المعارف العبرية (٥).

() المسيرى (عبد الوهاب محمد)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الرابع، مرجع سابق،

() "يهودا ليف جوردون קהודא ליב גורדון" (-) : شاعر وقصاص يكتب بالعبرية، وُلد في فيلنا، من أبرز أدباء حركة التنوير اليهودية، حيث انضم إليها وهو في سن الرابعة عشر، وهو الأمر الذي أثر على أشعاره، كما تعلم الروسية، إلى جانب لغات غرب أوروبا، وساهم أيضاً في إحياء اللغة العبرية، باستعماله الدقيق والواقعي لها، من أشعاره: "عشق داود وميخال אהבת דוד ומיכל" () "أمثال يهودا ממשלי קהודא" () : שאנן (אברהם)، ملون הספרות החדשה העברית והכללית, הוצאת יבנה, תל-אביב 1978, 181-182.

() (. نازك)، أضواء على الأدب العبري الحديث، الثقافة العربية للطباعة، بدون تاريخ ص -
() (.) ، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص .
() يُطلق على هذه في الفكر الصهيوني "هشואה השואה" واللفظ השואה يعني كارثة أو دمار أو خراب، (/) . وقد استخدم في الأدبيات الصهيونية بعد إضافة أداة التعريف إليه للدلالة على الأحداث النازية ضد اليهود في الحرب العالمية الثانية، وقد تناول بعض الأدباء اليهود هذه الأحداث في بعض أعمالهم الأدبية، مثال ذلك " - في قصصه "לילה מן הלילות לילה من الليالي" "לשם נפש עם" . وقد صنعت الصهيونية من هذه الأحداث وثناً للبكاء والعيول، وأصبح ركناً هاماً من أركان العقيدة =

الهوية فى ضوء أحداث النازية:

ثم تأتى مرحلة الأحداث النازية، لتوضح الصعوبات التى ساهمت فى تشكيل الشخصية والهوية اليهودية العدوانية، فلا يمكن فهم الهوية اليهودية فى هذا العصر، دون التطرق للتأثير العميق المستمر لتلك الأحداث، على تشكيل هذه الهوية. " إن ذكرى أحداث النازية تهب كل يهودى حتى أعماق قلبه "، هكذا ذكر القضاة فى محاكمة "أخيمنان"^(١) فى القدس. فهذه الأحداث تظل مصدر أساسى، يؤثر على اليهود أنفسهم، وعلى مسيرة، علاقاتهم مع العالم غير اليهودى^(٢) .

كان النازيون يعتبرون اليهود مصدراً من المصادر المالية لدولة ألمانيا، من تصدير البضائع التي ينتجها الجيتو، التي تديرها فرق الصاعقة والجستابو، والتي كانت تؤجر هذا المصدر إما للسلطة العسكرية، وإما لشركة مدنية، نظير ثمن يفوق كثيراً تكلفة الإبقاء على المصدر وإدارته، وكانت السلطات النازية تخفض مستوى المعيشة في الجيتو إلى ما دون مستوى الكفاف، لتخفيض تكاليف إدارته، ومع استمرار العمالة، وبذل كمية الطاقة البشرية نفسها، وتتناقص الطعام والرداء إلى ما دون حد الكفاف، فكان من المتوقع أن يموت سكان الجيتو خلال ستة أو سبعة أعوام دون اللجوء إلى أى عنف، وكانت هذه الطريقة من أكثر طرق الإبادة رشداً، وعملية، إذ لم يكن يُبدد فيها أى شيء (٣) .

ونظرت النازية لليهود، كأبناء جنس غريب، وأن اليهودى لن يستطيع أن يصبح ابن للشعب الألماني^(٤)، وزادت الاضطهادات النازية ضد اليهود بصورة خطيرة، وشيئاً فشيئاً، أُزيحت أرجلهم من جميع المناصب، وفى عام ١٩٣٥م أُصدرت "قوانين تيرنبرج"، والتي صُنّف اليهود فيها حسب منشأهم، وانتمائهم الدينى بصورة أكثر صرامة، وتم التفريق بينهم وبين مواطنى الرايخ

=الصهيونية، بالرغم من أن اليهود لم يكونوا الضحايا من الناحية العددية، حيث قتل النازيون ملايين البولنديين - . - : האנציקלופדיה העברית, כרך אחד עשר, שם, עמ' 520 . وأنظر أيضاً: שוה-לבן(יوسف), ספרות השואה, הוצאת אור עם, ת"א 1978.

() " أدولف أيخمان אדולף איזאן אייכמן" (גרמניה- רמאנה): قائد وضابط ألماني نازي، تعلم
الجمنازيوم ثم درس في مدارس فنية، لكنه لم يكمل تعليمه، وخرج للعمل كوالده ضابطاً.
عسكرية أسترالية مانية، ثم انضم بعد ذلك للحزب النازي، فكان أحد المسؤولين الكبار في الرايخ الثالث، وضابط
في القوات الخاصة الألمانية، ومسئولاً عن الترتيبات اللوجستية كرئيس جهاز البوليس السري "جيستابو"
إعداد مستلزمات المدنيين في معسكرات الاعتقال، كما كان من رؤساء منفذ عمليات إبادة يهود أوروبا، فيما
عُرف آنذاك بالحل الأخير. م تمكن الموساد من تنفيذ عملية اختطافه وترحيله إلى إسرائيل، حيث
حوكم، وأدين، وسُتق في عام م، و أُحرقت جثته، وألقوا بالرماد في البحر الأبيض المتوسط. :

האציקלופדיה העברית, כרך מילואים, שם, עמ' 150

() הרמן (שמעון), זהות יהודית (ממס פסיכולוגי-חברתי), הספריה הציונית, ירושלים, 1979, עמ' 73
() המסירי (. الوهاب) ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الرابع، مرجع سابق،

() האנציקלופדיה העברית, כרך אחד עשר, שם, עמ' 518.

من الناحية القانونية، وأوقفت كافة أشكال التزاوج بين اليهود وغير اليهود، وفُرضت عليهم مجموعة من العقوبات لمن يُخالف ذلك. ووفقاً لهذه القوانين، أعلنت المدينة فى نهاية عام ١٩٤٣م، أنها أصبحت طاهرة من اليهود (١) .

وخلال الحرب العالمية الثانية، جاء النازيون، وقاموا بتكديس اليهود فى أقسام وأماكن محددة فى مدن معينة، وفى ذلك الحين كان اليهود يعانون من الفقر المدقع، وكانوا يموتون من المرض والجوع، وكان أكبر هذه الجيتوهات، الجيتو الأكبر فى " وارسو "، ومن تلك الجيتوهات، كانوا يُضربون بالنار، أو يتم إرسالهم لمعسكرات الموت (٢) .

وخلال هذه الفترة أيضاً، ظهرت ظاهرة (اليهود المتخفين)، حيث أثر الكثير من اليهود أن يخفوا هويتهم خوفاً من الاضطهاد النازى، كما أن الفاتيكان أعطى الألوف شهادات تعميم لتسهيل لهم عملية الهجرة أو التخفى. وفى الاتحاد السوفيتى(سابقاً) كان من حق المواطن اليهودى أن يسجل نفسه روسياً أو أوكرانياً إن شاء، أو يهودياً إن فضل ذلك. وقد أثر مئات الألوف تسجيل أنفسهم روساً، ومن أشهر هؤلاء "مادلين أولبرايت" وزيرة الخارجية الأمريكية(سابقاً)، التى أُكتشف أمرها، وكذلك (روبرت ماكسويل) الناشر الإنجليزى (٣) .

إلا إنه ومع ظهور الحركة الصهيونية وإقامة دولة إسرائيل، فتحت أبوابها للمهاجرين (بخاصة من الدول الغربية)، وقدمت لهم تسهيلات مادية وعينية مختلفة، ومنحاً مالية مباشرة، مما شجع الكثير من اليهود المتخفين إلى تأكيد هويتهم اليهودية المزعومة، حتى يمكنهم تحقيق المزايا المادية (٤) .

وقد أثرت هذه الأحداث على البناء النفسى ليهود الجيتو، وخاصة بعد ما أُشيع وانتشر من روايات عن فتك النازيين ببضعة ملايين من اليهود فى المعسكرات النازية، كانت بمثابة نقطة تحول فى السلوك اليهودى. حيث أن تفسير أى سلوك، إنما يرتد إلى نمط علاقة الفرد بالآخرين، أى نمط بناء الشخصية، وهذا يرتد فى نهاية الأمر إلى ما يُطلق عليه (هوية الذات) أو (هوية الأنا). ومن الثابت أن هوية الذات إنما هى نتاج عملية التوحد بالآخرين، تلك العمليات التى تعتبر المحور الأساسى فى ميدان علم النفس، وهذا المحور هو محور (الأنا - أنت)، فبقاء الأنا النفسانى، توضع لبناته الأولى على غرار مكونات الأنا لدى من قام على شئون الصغير، أى الأم والأب، وبناء على ما سبق، نستطيع أن نفسر كيف تحول اليهودى من الاستكانة إلى العنف والعدوان، إذ أن ذلك تم عن طريق عملية التوحد الجديدة، فيما يختص

() האנציקלופדיה העברית, שם, עמ' 523 .

() Roth(Cecil), The concise Jewish encyclopedia, p198

() المسيري (. عبد الوهاب)، من هو اليهودي؟، مرجع سابق، ص .

()

بهوية اليهودى في الحقبة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، وهو ما يطلق عليه عملية التوحيد بالمعتدي (١) .

ومن هنا يمكننا الاتفاق مع ما ذكره د. رشاد الشامى بأنه حدث تحولاً جذرياً على اليهود، بعد تعرضهم لـ "الإبادة الشاملة"، و"التشريد"، فكان المخرج لدى اليهودى هو التوحيد فى المعتدى، وهو أن يتحول الحمل ذنباً، وهكذا لايبقى أمامه خطر يخشاه. فقد أثرت الأحداث النازية على الشخصية اليهودية وخلقت موقفاً سلبياً تجاه شخصية يهود الجيتو، المستسلمة، الجبائنة، وسعت إلى خلق شخصية نقيضة لها تماماً، وصل إلى حد إتهام الذات اليهودية بالمسؤولية أو التقصير (٢) .

وقد عبر الأدب العبرى عن تلك الأحداث من خلال الكتابات الصحافية والأعمال الأدبية، من قصص وروايات، فنجد على سبيل المثال، يصور الكاتب والصحافى الإسرائيلى "عاموس إيلون" (١٩٢٦-٢٠٠٩)، هذا التحول فى كتابه (الإسرائيليون الأبناء والمؤسسون)، فيقول : "تصور قصة "الليلة الحليلة" (١٩٥٤م) لـ "إيلي فيزل" (٣)، إرهابياً يهودياً، يبلغ الثامنة عشرة من عمره، يقتل رهينة بريطانية انتقاماً لمقتل زميل إرهابى، وقد حدثت القصة فى أيام الاضطرابات المعادية لبريطانيا فى فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية، وهذا الشاب من الناجين من معسكر بوخنفالذ (٤)، وهو يرى فى الإرهاب دليلاً على أن اليهود لم يعودوا اليهود الجبناء" (٥).

وقد عبر الأديب الإسرائيلى "عاموس عوز" (١٩٣٩ -)، فى روايته (אמורא) (حب متأخر) (٦) (١٩٧٠)، عن نبوءة أدبية، تعكس الرغبة فى انتقام ممن اضطهدوا اليهود فى

(١) . سناء عبد اللطيف حسين) ، الجيتو اليهودى، مرجع سابق ، ص .
(٢) . () ، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص .
(٣) "إيلي فيزل الحليلة": صحافى وأديب يهودى-أمريكى، ولد فى رومانيا عام م، وهو أحد الناجين من معسكرات الاعتقال النازية، وشارك فى العديد من الأنشطة التعليمية لإحياء ذكرى أحداث النازية حول العالم، درس الفلسفة فى جامعة السوربون، كما قام بتدريس العبرية، كتب فى العديد من الصحف الفرنسية والإسرائيلية، حصل على جائزة نوبل له العديد من المؤلفات والقصص بالفرنسية والعبرية، ومنها: "الليلة الحليلة" (١٩٥٤) "يهود الصمت" (١٩٦٧) "مدينة الحظ لا يدوم" .

<http://ar.wikipedia.org/1/1/2012>

(٤) بوكشوايل: أحد أكبر معسكرات الاعتقال النازية فى ألمانيا، وظل يعمل فى الفترة من عام ١٩٤١-١٩٤٥ : <http://ar.wikipedia.org/1/1/2012>

(٥) . () ، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص .
(٦) نتحدث القصة عن حياة أستاذ جامعى إسرائيلى، متقدم فى العمر، يتحدث طيلة القصة عن الخطر الروسى الذى يهدف للقضاء على اليهود، لذلك فهو يحذر اليهود من هذا الخطر، وينوى بينه وبين نفسه أن يتجه إلى كل كيبوتس وإلى كل يهودى كى يخبره بأن الروس اتخذوا قراراً سرياً لتصفية اليهود بصورة نهائية. كما يحذرهم بعدم الانخداع بما يقومون به من تعذيب وإهانات، لأن هذه الأمور هى نفس الأمور التى بدأها هتلر، ومع ذلك نجده لم يترك اليهود وحالهم.

أوروبا، سواء من الروس أو النازيين على حد سواء، فيرى بعينه كيف يقتحم الجيش الإسرائيلي أرجاء أوروبا، لينتقم للدم المسفوك (١) .

كما أظهر الأدب العبري المعاناة التي لحقت بالشخصية والهوية اليهودية، أيام الحكم النازي، وتأثيرها على حياة اليهود الناجين منها بعد قيام إسرائيل، وهو ما عبر عنه الأديب الإسرائيلي "كاتستنيك" (٢)، كما في رواية (الساعة 711777) (١٩٨٩م). حيث يسرد وصفاً تفصيلياً، لما يحدث داخل معسكرات الإعتقال النازية، وما يسبقها من عملية إعتقالات واسعة لليهود بمختلف أعمارهم (٣) .

ومن الأعمال التي كتبت أيضاً عن هذه الأحداث، رواية "השואה בגבולות" حب الشباب (٤) الشباب (٤) (١٩٦٥)، للأديب الإسرائيلي "حانوخ برطوف" (٥)، وتتناول الرواية بين ثناياها ثلاثة ثلاثة موضوعات رئيسية، عبر برطوف من خلالها عن فكرته الرئيسية، وهي التخطب بين تمسكه بهويته اليهودية الدينية من ناحية، والنفور منها من ناحية أخرى، في محاولة للبحث عن هوية جديدة والموضوعات الثلاثة هي:

الموضوع الاول : وهو الانتقام من الألمان، وهل هناك معنى لهذا الانتقام؟ وهل مثل هذا الانتقام سيكون له نتيجة معينة أم لا ؟

الموضوع الثاني : وهو الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتنظيمها والإشراف عليها.

الموضوع الثالث : وهو الهوية (٦).

() () . ، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية .

() " . 711777 كاتستنيك " وهو الاسم الأدبي ليحيئيل بن أفراهام دينور، وهو إختصار لكلمة ألمانية " سجين " ، والتي كانت كنية معروفة بين السجناء في المعسكرات. وُلد في بولندا حسيديية، وخلال الإحتلال النازي لبولندا، عاش في الجيتو أولاً ، ثم إنتقل لمعسكرات النازية، ولكنه إستطاع أن يهرب إلى إسرائيل بعد ذلك. وقد كرس إنتاجه الأدبي، على مدى أربعين عاماً، للكتابة عن تجاربه في المعسكرات، ومصير شقيقه وشقيقته وزوجته، الذين لقوا حتفهم في المحرقة، والنضال من أجل بناء حياة جديدة في إسرائيل . : <http://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon> 1/1/2010

() (محمد السيد العراقي)، الذات والآخر في أدب أحداث النازي-أهارون أبلفلد نموذجاً، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عين شمس، .

() تدور أحداث الرواية حول ذكريات الجندي، اليهودي الفلسطيني، "اليشع كروك" إحدى الكتائب اليهودية اليهودية التي شاركت في الحرب إلى جنب الجيش البريطاني، وهو أحد اليهود الهاربين من النازي، ولكن دون أن يترك هذا الأمر عليه أى تأثير، فهو شخصية سلبية تنظر إلى الأحداث من الخارج ولا تشارك فيها، ولكنه في ذات الوقت إيجابي في الدفاع عن بعض القيم الأخلاقية. ويتساءل في الرواية عن جدوى الانتقام من النازيين من جراء ما فعلوه باليهود.

() حانوخ برطوف 711777 (-) : . - "بتاح تكفاه" .

، خدم في لواء الجيش البريطاني وخاض أيضاً حرب . نشر عشر روايات، وست م .

من القصص القصيرة، وحصل على عدة جوائز منها : وجائزة بيباليك . أعماله: " السوق الصغير" () " قلب الحكيم " () " الأخت البعيدة " () " () . :

Hebrew writers, General Directory of Hebrew writers ,p. 26

() (محمد السيد العراقي)، الذات والآخر في أدب أحداث النازي

وهناك أيضا أعمال أدبية عن هذه الأحداث مثل رواية (ليس من الآن ولا من هنا) (1963)، للأديب الإسرائيلي "يهودا عميحاي" (1)، والتي تصور الخوف، والأمل، واليأس، التي يشترك فيها الهاربون من أحداث النازي، ومن الواقع الإسرائيلي، إلى الماضي، للتغيب فيه عن الهوية المفقودة، التي فقدت بلغم قتل بطل الرواية يوئيل في النهاية، والذي هو رمز لفقدان الهوية الإسرائيلية (2).

خلق هذا الاضطهاد حاجزاً نفسياً بين اليهود والشعوب الأخرى. وذلك الذي صورته الأدباء في أعمالهم الأدبية، والذي تحول إلى عقدة نفسية، أدت باليهود إلى محاولة تعويض هذه العقدة، بخلق هوية عرقية خاصة بهم في "الشتات".

الهوية العرقية في "الشتات" :

اتخذت عقدة الانفصال عن البشر والامتياز على أمم العالم طريقها إلى النفسية اليهودية، وأصبحت عاملاً أساسياً في تكوين شخصية هذه الطائفة منذ القدم، عن طريق الأنساب والأعراق، وعن طريق الذكريات الدينية والسياسية التي تضخمت مع الزمن، خاصة في الفترة التي تسمى عندهم "الشتات" أو "دياسبورا" (3)، حيث التفرق في الأرض، والذهاب فيها أشتاتاً .

وقد أعلن الصهاينة عن دعاوهم العنصرية، واعتقادهم أنهم جماعة يختلفون عن غيرهم من أفراد الجماعات الأخرى، من حيث نقائهم وراثياً، فيذكر المفكر الصهيوني "موسى هيس" (1812م-1875م) في كتابه "روما والقدس" بأن "الجنس اليهودي" من أقدم وأعرق الأجناس البشرية، وإليه ترجع وحدة اليهود، لأن "الجنس اليهودي"، حفظ صفاءه عبر القرون (4). لذا فإن فإن التعصب العنصري حول الأسطورة الخاصة بالأعراق والأنساب تمثل مقوماً رئيساً للشخصية اليهودية .

() "يهودا عميحاي דיודא עמיחאי" (-) : ولد في ألمانيا، وهاجر مع والديه إلى فلسطين عام 1933م، أكمل دراسته الثانوية في القدس، اشتراك في حرب 1948م، وكتب للعبرية، وإلى جانب القصائد الشعرية التي نشرها، فقد نشر روايتين، وكذلك مجموعة من القصص، وكتب للأطفال، وعدد قليل من المسرحيات، فاز بعدة جوائز منها: م، وجائزة بيبليك عام 1962م، وجائزة إسرائيل للشعر العبري عام 1974م. أعماله: مسرحية "رحلة إلى نينوى מסע לנינוה" (1962) "بهذه الروح المفزعة ברוח הנוראה הזאת" (1974) "שידי אהבה" (1981) : <http://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/> 1/1/2012

() (محمد السيد العراقي) الذات والآخر في أدب أحداث النازي .
() "دياسبورا" : كلمة يونانية الأصل تعني "م"، وقد استخدمت للإشارة إلى الأقليات اليهودية في العالم، وهي مرادفة لكلمة "م" في التراث اليهودي الصهيوني. : (.)
العبري الحديث مع نماذج مترجمة، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة .
() فهمي (وليم)، الهجرة اليهودية إلى فلسطين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة .

ولابد أن نأخذ في الاعتبار، أن هناك علاقة حتمية بين الدراسة الأنثروبولوجية^(١) الصرفة، وبين الجانب السياسى، كما يتمثل فى الأطماع السياسية، كما ينبغى أن ندرك أن الصهيونية السياسية، تُسخر الأبحاث ونتائجها مسبقاً، بحيث تخدم دعاوهم الاستعمارية فى فلسطين، والتأكيد على "النقاوة الجنسية" لليهود، وأنهم ظلوا بمنأى عن الاختلاط الدموى مع الشعوب التى انتشروا بينها. ومن ثم فهم يشكلون هوية واحدة ذات مجموعة جنسية واحدة، وقومية تاريخية واحدة، مثلما هم طائفة دينية واحدة، ونتيجة لذلك فقد كان هناك إتجاهين: إحداهما يرى اليهود متميزين مختلفين فى صفاتهم الجنسية عن السكان المحيطين بهم، وبالتالي يؤلفون عبر العالم وحدة جنسية واحدة. أما الإتجاه الثانى: فيراهم صورة مقربة من السكان المحيطين فى كل مكان، وانعكاساً لتركيبهم وتكوينهم الجنىسى، ومن ثم لا يؤلفون إلا وحدة دينية، لا جنسية أو جينية^(٢).

تؤكد جميع البحوث الاجتماعية والتاريخية والأنثروبولوجية أن اليهودى يُعتبر من أبعد الجماعات البشرية عن النقاء العنصرى الذى يدعيه، وفى ذلك يقول العلامة السويسرى "أوجين بيتار": "إن جميع اليهود فى نظر علماء الأنثروبولوجيا، على الرغم من كل ما يدعيه، بعيدون عن الانتماء إلى (جنس يهودى)"^(٣) فاليهود ينتمون إلى طائفة دينية واجتماعية، اندمج فيها فى كل عصور التاريخ أشخاص من أجناس متباينة، وكان أولئك المتهودون يدخلون فيها من جميع الآفاق المسكونة بالبشر^(٤).

وعلى جانب آخر، يمكن القول أن أكثر ما يدحض فكرة النقاء العنصرى الخاص باليهود وحدهم، هو أن اليهود قد تأثروا بلون بشرة جيرانهم، واكتسبوا صفاتهم الجسدية عندما تزوج بعضهم من غير اليهود، خلال العصور الطويلة التى عاشوا فيها فى مختلف البلاد، نتيجة طبيعية لهجراتهم المستمرة عبر التاريخ وعلاقاتهم، طوعاً أو كرهاً، بعدد كبير جداً من الشعوب، قد عرضتهم لقرار كبير جداً من التهجين، أى التزاوج مع سلالات مختلفة، وبكفى للتدليل على ذلك، مقارنة يهودى أمريكى قوى الجسم، ويهودى سالونيكى البراق العينين الهزيل الجسم^(٥).

() الأنثروبولوجيا: هى علم الإنسان، وتحتت من الكلمتين اليونانيتين وهما: (anthropos) ومعناها () (logos) ومعناها " "، وعليه فإن المعنى اللفظى لإصطلاح الأنثروبولوجيا هو " "، والذى يُعنى بأصل الجنس البشرى، وتطوره، وعاداته، وتقاليده، ودراسة العناصر البشرية المعاصرة، وصفاتها، وأوصافها الجسمية المختلفة، وتتنوع الأنثروبولوجيا ما بين أنثروبولوجيا طبيعية، واجتماعية، وحضارية .

<http://ar.wikipedia.org/1/5/2010>

- () (.)، اليهود أنثروبولوجيا، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، -
() (.)، الشخصية الاسرائيلية، مرجع سابق، ص .
() من أمثال هذه الشعوب، يهود الفلاشاه، ويهود التاميل، ويهود مملكة الخزر وغيرهم...-
(.)

() (. سعيد عبد السلام) لط بين التشريع والواقع اليهودى، دار الثقافة العربية، القاهرة

وبالرغم من العزلة اليهودية، والتزمت الدينى داخل الجيتو، إلا أن ممارسة الزيجات المختلطة استمرت، واندمج الكثير منهم بالوسط الذى يعيشون فيه، حتى فى أحلك الظروف التى مروا بها أيام الحكم النازى فى ألمانيا، سارع الكثير منهم إضفاء صفة الشرعية على علاقاتهم بالألمان (١)، وهذا يدل أن اليهود اختلطت دمائهم بدماء الشعوب الأخرى على مر العصور، حتى فى فترات الاضطهاد وعدم الاستقرار، مما أفقدهم ما يدعونه من نقاء الجنس اليهودى.

أما بالنسبة للون البشرة، فليس هناك نمط موحد بين اليهود، فهم بين سفارديم البحر المتوسط والشرقيين بيض مشربون بسمرة خفيفة، أما فى اليمن، فهم بدوا أفتح قليلاً من اليمنيين، وهو ما يعود لطبيعة حياتهم فى الظل بعيداً عن العمل فى الخلاء. أما فى أوروبا، فلا يختلف الأشكناز عن الأوروبيين فى لون البشرة، وعلى النقيض من هؤلاء البيض، فتمة "اليهود السود" الذين يقعون خارج التقسيم الثلاثى لليهود، إلى أشكناز، وسفارديم، وشرقيين، من هؤلاء الفلاشاه فى شمال الحبشة، وهم إلى حد كبير مترنجون، ويتكلمون لغة الأجاو الكوشية القديمة (٢).

ويفند "رينان" ما يُقال عن وجود "سحنة يهودية" بعينها يمكن بها التعرف على اليهودى، بقوله: "لا توجد سحنة يهودية، بل هناك عدة سحنات يهودية" (٣).

وليس هناك أصح من قوله هذا، فنحن لا نستطيع أن نعتبر اليهود الحاليين مكونين لكتلة بشرية ذات عنصر واحد. ويؤكد ذلك "د. جمال حمدان" بقوله أنه من المحقق علمياً، أنه لا توجد "سحنة يهودية" عند كل اليهود، فهى إن كانت موجودة عند بعض الأشكناز فى أوروبا، فإنها تكاد لا تُعرف فى أشكناز أمريكا، ومن ثم فهى كثيراً ما تدخ الرأى فى التشخيص، فيأخذ غير اليهودى على أنه يهودى، واليهودى على أنه غير يهودى، وإذا كانت هذه النظرة أو المسحة تتركز بطريقة ما، حول العينين والأنف، فإنه من الصعب تحديدها وقياسها (٤).

ويضيف "د. جمال حمدان" بأنه لا يمكننا أن نجد مجتمعاً يهودياً واحداً أقلت من الاختلاط البيولوجى مع غيره من المجتمعات، ولهذا لا نستطيع أن نفترض، أن أى جماعة من اليهود، شرقيين أو غير شرقيين، تمثل تمثيلاً صادقاً لليهود فلسطين أيام المسيح، رغم أنه يُستثنى طائفة السامريين (٥) ويقول: "لعل السامريين هم المجموعة الوحيدة من اليهود، التى يتفق الجميع

(١) . سعيد عبد السلام، الزواج المختلط بين التشريع والواقع اليهودى

(٢) . () ، اليهود أنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص .

(٣) . () ، الشخصية الاسرائيلية، مرجع سابق، ص .

(٤) . () ، اليهود أنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص .

(٥) السامريون: فرقة صغيرة فقيرة، ينتسبون إلى مدينة السامرة القديمة، عاصمة مملكة إسرائيل المنشقة على عرش سليمان (عليه السلام) بعد وفاته، والتى كانوا يعيشون حولها، وكانت تُسمى قبل أن تطرق أقدم العبريين أو اليهود فلسطين، مدينة "شكيم"، ويشرق عليها جبل مقدس اسمه جبل "جرزيم"، وبزعم السامريون أنهم البقية الباقية على الدين الصحيح، حيث يؤمنون بإله واحد، وأن موسى (عليه السلام) رسول الله، ويؤمنون بالتوراة، ولا يؤمنون بدادود وسليمان (عليهم السلام) "جبل جرزيم" هو القبلية الحقيقية الوحيدة لبنى إسرائيل، وهم يرفضون الصهيونية، ويعتبرون "جبل صهيون" الذى اتخذه داود ومن بعده سليمان قلعة لهما، أنه بمثابة قاعدة=

الجميع أنها ظلت في فلسطين، طوال التاريخ وحتى يومنا هذا، في عزلة كاملة، وتزواج داخلي ضيق، وفي نقاوة لا شك فيها، كما إنهم يمثلون العرق اليهودي الفلسطيني الأصلي القديم" (١) . ومن هنا يمكننا القول أن تلك المجموعة من الصفات الجسمية المنسوبة لليهود، أو الملاحظة فيهم، لا تدل على الأصل العرقي، ولا تحل المشكلة. وهي إن دلت على شيء، فإنما تدل على انعدام أية وحدة بين يهود العالم في تلك الصفات، وبالتالي لا يمكن الإعتماد عليها، عند تحديد هوية اليهود في الشتات .

أما بالنسبة للمفهوم السياسي للهوية العرقية، فنجد أن هناك اختلاف عميق بين مفهومي، (الأقلية القومية)، وبين (الوحدة العرقية)، فعلى سبيل المثال نجد أن الأيرلنديين في أيرلندا ينتمون إلى أمه حرة، بينما الأيرلنديين في بريطانيا يُعدون كأقلية قومية محرومة، أما الأيرلنديين في أمريكا يُشكلون وحدة إثنية أو عرقية كمواطنين أمريكيين متساويين في الحقوق، في كل شيء (ليس لديهم شكاوى الأقلية القومية)، فلا توجد مسألة التسميات هناك، فيمكن أن نطلق على (الأقلية القومية) أنها (وحدة عرقية أو إثنية) أو العكس. وتُعد هذه هي مسألة التمييز بين الموقف السياسي، وموقف الأصل القومي والثقافي، أو الانتماء الديني، لذلك فإن من عقوبة من يرتكب الفاحشة من بين من ينتمون للأقلية القومية، لا يمكن أن ينطبق على الجماعة الإثنية أو العرقية. فيهود الولايات المتحدة لهم وضع سياسي يختلف عن الآخرين، مثلهم في ذلك مثل الأيرلنديين في الولايات المتحدة، إلا أن التفريق بين الأقلية القومية والموقف السياسي لا يمكن تطبيقه على وضع اليهود في الاتحاد السوفيتي (السابق)، حيث هناك وجدوا في وضع سياسي مُعترف به كأقلية قومية، وبالتالي محرومة من المساواة في الحقوق (٢) .

وإذا كان البعض قد حاول اختلاق "هوية عرقية" لليهود، فإننا نجد أنهم أيضاً حاولوا اعتبار اللغة إحدى ركائز التعبير عن الهوية، فقد اعتبرت قضية الهوية اللغوية موضوعاً جوهرياً بين اليهود قبل إقامة دولة إسرائيل، في الشتات، وبعد قيامها أيضاً، إن الرابط بين اللغة والهوية يختلف باختلاف الأوضاع والسياقات الاجتماعية المتعلقة بالجماعات اللغوية المقصودة، وهذا يعني أن أهمية اللغة بالإمكان أن تزداد أو تقل بالنسبة للمجموعة نفسها، حسب الظروف والسياقات الاجتماعية (٣) .

=الكفر بالنسبة للصهيانية. : (.) ، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد الدراسات العربية،

() ، اليهود أنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص .

() آغسي (يسوف)، بين دت ולאום، לקראת זהות לאומית ישראלית، מהדורה שנייה، אוניברסיטת תל-אביב 1993، עמ' 196.

() (.) ، اللغة والهوية في إسرائيل، مرجع سابق، ص .

دور اللغة فى تشكيل هوية اليهود :

وشكلت اللغة العبرية أهمية خاصة عند اليهود على مر العصور، حيث كانوا يعتبرونها لغة مقدسة، دُونت بها التوراة والنتاجات الدينية والأدبية، ومع مضي الزمن، فاليهود عرفوا هويتهم استناداً على بعض العناصر المشتركة فى تاريخهم كالديانة اليهودية، واللغة العبرية، كما أن معرفة اللغة العبرية كلغة الدين والتتقيف خلال العصور الغابرة، عززت الشعور بالانتماء تجاه اليهودية (١) .

وقد ظلت اللغة العبرية فى مكانتها، إلى أن تم خراب الهيكل الثانى ٧٠م، وانتشار اليهود بين دول العالم، وهو ما أدى إلى توقف اللغة العبرية كلغة محكية على مدار ١٧٠٠ عام، واقتصر استخدامها على الشئون الدينية فقط، وأصبحت العبرية لغة ميتة، وحل محلها لغة الأمم التى عاش اليهود بينها (٢) .

وفى الفترات التى عاش فيها اليهود فى الجيتو، اختلفت لغتهم باختلاف المكان الذى عاشوا فيه، ولكن نتيجة للعزلة التى فرضوها على أنفسهم، ورغبة منهم فى التحدث بلغة لا يعرفها الشعوب التى تضطهدهم، فقد عملوا على خلق لغة عبرية مختلفة عن تلك اللغة العبرية التى كانت تُستخدم فى المعابد، فظهرت العديد من اللغات المختلطة، بين العبرية، والآرامية، والألمانية، والتى أطلق عليها لغة "الييدش" (٣)، ومن اللغات أيضاً ما جمع بين العبرية والعربية والتركية وتسمى "اللادينو"، والتى انتشرت بين يهود أسبانيا، ولغة "روتولش" Rotwisch وهى جمعت بين الألمانية والعبرية والسريانية، وهى لغة النصابين والمتسولين وقطاع الطرق فى ألمانيا، لغة "كدرولش" وهى اللغة الخاصة بفئة التجار والصيارفة اليهود أجادوها تماماً، وكانوا يتعاملون بها مع بعضهم البعض، لغة "الاجتاي" وهى لغة الخزر التركية التى تحدثت بها الطائفة اليهودية فى دولة الخزر، والتى ظهرت فى القرن الثامن، واللغة "الجعرية" وهى لغة حبشية قديمة تحدثت بها طائفة الفلاشا اليهودية التى عاشت فى الحبشة، وكُتب بها العهد القديم، واللغة "الأمهرية" وهى اللغة التى تحدثت بها طائفة الفلاشا أيضاً، وهى اللغة الأكثر انتشاراً، ولغة الدولة الرسمية فى الحبشة (٤) .

(١) . () ، اللغة والهوية فى إسرائيل،

(٢)

(٣) الييدش יידיש: هى لغة اليهود فى شرق أوروبا، وهى خليط من العبرية والآرامية والألمانية وبعض الكلمات السلافية وتكتب بالخط العبرى. وقد نشأت فى ألمانيا فى القرن الثانى عشر، وحملها اليهود معهم إلى بولندا وروسيا حينما هاجروا إلى هناك فى القرن الخامس عشر، وأنتج بهذه اللغة أدب متنوع، ما بين شعر وقصة ورواية ومسرح. : (. سعيد عبد السلام)، دراسة معجمية لمصطلحات الأدب، مرجع سابق، ص .

(٤) . (. سناء عبد اللطيف حسين) ، الجيتو اليهودى، مرجع سابق، ص - .

وعلى الرغم من أن كل جماعة يهودية كانت منفصلة عن محيطها، فإنها كانت تحدد هويتها من خلاله، كما أن انفصالها عن محيطها لا يعنى بالضرورة اتصالها بأعضاء الجماعات اليهودية الأخرى، فالإيديشية الجرمانية كانت تعزل أعضاء الجماعة اليهودية عن محيطهم الثقافى السلافى فى بولندا، ولكنها مع هذا لم تكن لها أية علاقة باللادينو التى كانت تعزل يهود السفارد عن محيطهم العربى الإسلامى فى الدولة العثمانية، أما العبرية، وهى اللغة الوحيدة المشتركة، فقد ظلت من ناحية الأساس لغة الصلاة، واللغة التى كُتبت بها النصوص الدينية وحسب، أى أن العنصر المشترك لم يتعد فى جوهره الصلوات والعبادات وبعض المؤلفات، وظلت العلاقة بين أعضاء الجماعات اليهودية علاقة دينية أو وظيفية باعتبارهم أعضاء فى الجماعة الدينية نفسها، أو أعضاء فى جماعات تضطلع بالوظيفة نفسها فى كثير من المجتمعات. وعلى كل، لم تكن الرابطة الدينية بمعزل عن الوظيفة الاقتصادية أو الاجتماعية تماماً، إذ أن الجماعة الوظيفية تضرب حول نفسها العزلة، ويساعدها فى ذلك المجتمع المضيف (١).

وإذا كانت اللغة هى إحدى محددات الهوية، فبالنظر إلى تاريخ أسرة واحدة فى إسرائيل، نجد أن تاريخها ينتمى إلى ثلاثة أجيال مختلفة، بثلاث لغات، وبالتالي ثلاث هويات مختلفة، شكلت مراحل هامة من مراحل تاريخ التكيف والاندماج فى "الشتات"، فتاريخ أسر معظم المهاجرين من جنوب أفريقيا الذين يعيشون فى إسرائيل الآن، مثال لطبيعة المتجولين اليهود: آباءهم جاءوا من إلى جنوب أفريقيا من ليتوانيا، ولغة أهم كانت الليديشية، وهم أنفسهم وُلدوا فى جنوب أفريقيا، ولغة أهم كانت الإنجليزية، وأولادهم الذين وُلدوا فى إسرائيل بالطبع يتحدثون العبرية. إنهم ثلاثة أجيال، ثلاث دول، وثلاثة أجيال... (٢).

وإذا كانت اللغة تُعد من الأساسيات المكونة لأية هوية، فتعتبر "اليديشية" من اللغات التى أنتجها اليهود وتحدثوا بها أثناء فترة إقامتهم فى شرق أوروبا، وكانت محوراً هاماً ارتكزت عليه حياتهم فى "الشتات"، حتى ظن البعض منهم أنها وريثة العبرية، وأنها تمثل "هوية" فى حد ذاتها، سوف تجمع اليهود فى "الشتات".

حيث تشير الأدبيات الصهيونية والغربية، حينما تتحدث عن الشخصية اليهودية أو الهوية اليهودية، إلى تجربة تاريخية محددة هى تجربة يهود الليديشية، أى الجماعة اليهودية فى شرق أوروبا، والتى كانت تشكل جماعات وظيفية يتحدث أعضاءها الليديشية، ويعيشون فى الظروف الاقتصادية والاجتماعية نفسها، وفى المحيط الحضارى المسيحى نفسه، وهو ما أفرز شخصية يهودية شرق أوروبية، يمكن أن تُسمى "الشخصية الليديشية"، تتحد ملامحها لا من خلال تشكيل تاريخى يهودى عالمى، وإنما من خلال التشكيل الحضارى الشرق أوروبى. وقد

(١) المسيرى (عبد الوهاب)، تاريخ الفكر الصهيونى جذوره ومساره وأزمته، مرجع سابق، ص .

(٢) (הרמן (שמעון)، זהות קהילית (משא פסיכולוגי-חברתי)، שם، עמ' 56 .

أكد "آرثر روبين" (١) في كتابه "اليهود في الوقت الحاضر"، أن كلمة يهودى تعنى بالنسبة إليه "أشكنازى"، ولا تضم اليهود السفارد أو الشرقيين، إلا أنه وبالرغم من أن يهود البيديشية كانوا يشكلون الغالبية الساحقة من الجماعات اليهودية في العالم في نهاية القرن التاسع عشر (٨٠%)، إلا أن هذا لا يجعل منهم شخصية يهودية عالمية، وإنما هى ثمرة تفاعل الجماعات اليهودية مع المجتمع الشرق أوروبى فى بولندا وروسيا، داخل تركيبة ثقافية واجتماعية محددة، وهو ما أدى بعد ذلك إلى اندثارها، نتيجة التحولات الاجتماعية الضخمة التى حدثت فى مجتمعات شرق أوروبا (٢) .

فقد كان الأشكنازيم هم الأكثر دراية "بالمشكلة اليهودية" فى "الشتات"، فقد عرفها، وعانى تجربتها بأشكال مختلفة، وفى أوقات متعددة. عرفها كصراع ثقافى بين الفكر، والقيم المعاصرة، والعقيدة اليهودية التقليدية، وكصراع داخلى بين الرغبة فى الاندماج بالمجتمع، من ناحية، والخوف على ضياع هويته اليهودية، من ناحية أخرى، ثم كصراع خارجى بينه وبين المجتمع الذى يعيش فيه (٣) .

على الرغم من أن اليهود فى دول العالم لم تتوفر لهم الشروط الواجب توافرها لخلق هويات مثل هويات تلك الدول التى عاشوا فيها ، نجد أن فى مراكز الثقافة اليهودية التى سبقت النكبة، قد ظهر فيها تعبير مهم للهوية اليهودية، هذا التعبير، الذى منحها خصوصيات، هو اللغة اليهودية الخاصة أو لغة اليديش (٤) .

وكان التيار اليديشى الخاص بدعاة الحكم الذاتى (على غرار إنشاء منطقة حكم ذاتى يهودى فى "مدغشقر" (قبالة الساحل الجنوبى الشرقى لأفريقيا)، وهى الفكرة التى تسلت بها النازية بعد ذلك، قبل أن يتخذوا قرارهم "بالحل النهائى"، أو على غرار ما قام به أديب البيديشية "ميلخ رأوفيتش"، حيث بحث عن منطقة مناسبة لإقامة حكم ذاتى يهودى فى أستراليا)، يهدف إلى التوصل إلى حل لمشكلة اليهود فى نفس مكان وجودهم، وضمن واقعهم الملموس، وبلغتهم المستخدمة، دون أية نية لإستبدالهم بشعب أسطورى آخر، ودون أى حنين إلى ماضى لم يعد له وجود منذ ألفى عام (٥) .

() آرثر روبين (-) عالم اقتصاد واجتماع، وقائد صهيونى ومنظم المستوطنات الزراعية فى فلسطين. التحق آرثر روبين بالمنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩١٧م وطلب منه أن يذهب إلى فلسطين لبحث حالة المستوطنات اليهودية، وكانت تلك الرحلة نقطة تحول فى حياته حيث كرس كل جهوده بعد ذلك لتطوير المستوطنات اليهودية. بعد الثورة العربية عام ١٩١٧م (ثورة البراق) حارب بشدة من أجل زيادة الهجرة إلى فلسطين وزاد نشاطه فى حركة الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية بكل الطرق. :

<http://ar.wikipedia.org/wiki/15/2011/>

- () المسيرى (. عبد الوهاب)، من هو اليهودى؟، مرجع سابق، ص .
() (.)، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص .
() (.)، إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص .
() (.)، إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص .

وشكلت اليبديشية خطراً على اللغة العبرية كلغة قومية للأمة اليهودية، إذ سخر متحدثوها، من دعاة إحياء العبرية، واعتبروا اليبديش وريثة العبرية، كلغة موحدة لجميع أسباط إسرائيل. وقد تزعم هذا التوجه شعراء وأدباء في مؤتمر عقدوه في أوروبا عام ١٩٠٨م، وهذه القضية شغلت فكر مناصري إحياء العبرية، وتصدوا لها بشدة، باعتبارها لغة شتات. في النهاية إنتصر مؤيدو العبرية، وتوقف المؤلفون عن نشر كتاباتهم باليبديش، وتحولوا إلى العبرية (١) .

وقد ازدهرت اليبديشية بين اليهود الغربيين في "الشتات"، وتحدث الأطفال باليبديشية في جيتوهات ألمانيا. حيث ينشأ الأطفال لا يتعلمون لغةً سواها، مما زرع بذور الشك في نفوس الجماهير التي لا تفهم هذه اللغة، فإذا أراد أحدهم أن يتعلم لغة أخرى، لم يكن يُسمح له إلا باللغة العبرية، وحتى هذه كان البعض ينظر إليها باعتبارها لغة مقدسة، وأن مجرد النظر إلى أبجديات الشعوب الأخرى يُعد كفراً وزندقة يستحق اليهودي بسببها أن تُفَقَّ عيناه (٢) .

أما الآن فاليهود في ما يُسمى "الشتات" يعرفون فقط لغة الشعوب التي يعيشون فيها، أما في إسرائيل فقد إتخذت العبرية مكانتها هناك، وحتى الآن لم يفلحوا في استخدام لغتهم الثانية "اليبديشية"، الخاصة بيهود "الشتات" (٣) .

وكانت هناك حرب بين العبرية واليبديش حول اللغة التي ستكون اللغة القومية والرسمية للوجود اليهودي-الصهيوني في فلسطين، ومن بعد ذلك في إسرائيل (٤) .

ومحاربة اليبديش بدأت في أوروبا في فترة إحياء اللغة العبرية، لأن هذه اللغة عملت على إبعاد اليهودي عن جذوره اللغوية. واستمرت محاربة اللغات بعد قيام الدولة. وفي العقدين الآخرين حُسمت المعركة نهائياً لصالح اللغة العبرية. الأمر الذي اقتضى تغيير التوجه اللغوي. هذا التوجه تمحور في توظيف اللغة العبرية لبلورة بناء الشخصية الإسرائيلية على الأسس الاجتماعية. بينما في فترة الإحياء تركزت بناء الشخصية اليهودية على أسس المشاعر القومية. على سبيل المثال تلاشت في الآونة الأخيرة، قضية تغيير الأسماء إلى العبرية، فكل مهاجر يحتفظ باسمه الذي قدم به دون الحاجة إلى تغييره. هذه الظاهرة بارزة بشكل واضح لدى القادمين الروس الجدد، فمن خلال ذكر اسم الفرد تستطيع أن تُخمن مكان مسقط رأسه (٥) .

(١) . () ، اللغة والهوية في إسرائيل، مرجع سابق، ص .
(٢) المسيرى (. عبد الوهاب محمد)، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص .
وأنظر أيضاً: (. زين العابدين) "إشكالية الهوية في القصة القصيرة"، رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة .

(٣) (הרמן (שמעון)، זהות יהודית (מבט פסיכולוגי-חברתי)، שם، עמ' 48.

(٤) . () ، اللغة والهوية في إسرائيل، مرجع سابق، ص .

(٥) .

وتعتبر "الهوية البيديشية" أو "الهوية اليهودية الشرق أوروبية"، قد انبثقت عن مبادئ "قومية الدياسبورا"، حيث يرى دعاة قومية الدياسبورا أن اللغة التي تعبر عن هذه الهوية اليهودية ليست العبرية وإنما البيديشية، وحينما أُستأنفت الثورة البلشفية^(١) عملية التحديث في روسيا ناصبت حزب البوند العدا لأسباب سياسية في البداية، كما رفضت تصوره للهوية اليهودية المحدودة الشرق أوروبية، ولكنها عادت في الثلاثينيات واعترفت بها، وبلغتها المستقلة، وبشخصيتها الثقافية المستقلة، التي يمكن أن تتحقق داخل الإطار السوفيتي (روسيا الآن) وإنطلاقاً من ذلك حددت مقاطعة "بيروبيجان" كمقاطعة مستقلة لغتها الرسمية البيديشية، وكان بإمكان هذه المقاطعة من الناحية النظرية، أن تتحول إلى جمهورية مستقلة داخل أنحاء الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية (السابقة) لو هاجر إليها عدد كاف من اليهود. وقد ظلت الهوية البيديشية مزدهرة في الفجوة الزمنية بين تعثر التحديث واستئنافه في الاتحاد السوفيتي (السابق)، وبين هجرة يهود شرق أوروبا إلى الولايات المتحدة واندماجهم فيها، والذي يرجع على وجه التقريب بين بداية القرن العشرين وأواخر الأربعينيات، ولكن سرعان ما تآكلت الهوية البيديشية سريعاً مع تصاعد معدلات التحديث والعلمنة، كما ساهم النازيون في القضاء على البقية الباقية من هذه الهوية، ومع الستينيات لم يعد ل"الهوية البيديشية" من أثر في العالم^(٢).

وإذا كانت اللغة إحدى ركائز الهوية، فإن الدين أيضاً لا يقل أهمية عن اللغة، عند تشكيل هوية أي فرد أو جماعة، وهو الأمر الذي يعتمد عليه اليهود في ادعائهم الحفاظ على هويتهم الدينية على مر العصور.

الدين كمحدد لـ "الهوية اليهودية":

ولذلك فقد كانت السمة الرئيسة لهوية اليهود في دول العالم، هي الإطار الديني لا أكثر، وتتأسس ركائز هذه الهوية على التراث الديني، والتوراة. وفي ذلك يقول "يونانين ساسون": "إن الهوية الدينية لصيقة باليهود منذ القدم، وحتى "الشتات" اليهودي، بل أثناءه وإلى الآن أيضاً، وهناك اتفاق على أن هذه الهوية لها جذور تاريخية بالنسبة لليهود، وبالطبع فإنها تميزهم كجماعات بشرية، بل إن عنصر الدين اليهودي - العقيدة والتوراة - هما سر بروز الهوية الدينية كهوية تميز جماعات اليهود في أنحاء العالم. إذن فالهوية الدينية لم يكن لها ثمة علاقة بالقومية، بل تعيش في إطار تقاليدهم الدينية بجمودها وتزمتها، وظلت حبيسة الكيانات اليهودية الصغيرة والمغلقة، التي درج اليهود على إقامتها والانزواء بداخلها، وكانت سمتها الرئيسية الانعزال عن

(١) الثورة البلشفية أو ثورة أكتوبر كانت المرحلة الثانية من الثورة الروسية
فلاديمير لينين ويده اليمنى جوزيف ستالين وكامل الحزب البلشفي والجمهير العمالية بناءً على أفكار
وتطوير فلاديمير لينين؛ لإقامة دولة اشتراكية الحكومة المؤقتة. وتعد الثورة البلشفية أول ثورة
شيوعية في القرن العشرين. <http://ar.wikipedia.org/wiki/1/1/2012> :

(٢) المسبوري (عبد الوهاب)، من هو اليهودي؟، مرجع سابق، ص .

فيما يلي، أولاً: عدم حدوث حركة انتقال جماعية (هجرة) لليهود من بلاد "الشتات" إلى "إيرتس يسرائيل" (١) (فلسطين)، ثانياً: عدم الثورة على شعوب العالم، ثالثاً: ألا يحدث إفراط في إضطهاد الشعوب غير اليهودية للشعب اليهودي، وكانت تلك عقيدة يهودية عامة لتفادي العمل السياسي، إنتظاراً لمجيء المسيح المخلص في صبر، دون محاولة التعجيل بقدومه لأن ذلك محرم تماماً (٢).

ومن جهة أخرى، فلا يمكن أن نهمل البعد اليهودي في بناء الهويات فالدين اليهودي عنصر أساسى فيها، كما أن الرؤية الدينية بعد حيوى مهم ولكنه نشأ وسط تشكيلات حضارية وتاريخية مختلفة تفاعلوا معها وأثروا فيها وتأثروا بها، وإن كانت درجة تأثرهم تفوق كثيراً درجة تأثيرهم، كما هو الحال عادة مع أعضاء الأقليات، فهناك هوية بابلية يهودية، وأخرى فارسية يهودية، وثالثة أمريكية يهودية، ورابعة عربية يهودية، فلا توجد ما تُسمى هوية يهودية عامة مطلقة، وإنما هويات يهودية متعينة متنوعة (٣).

ومع فقدان اليهود لدورهم الاقتصادي، نتيجة التحول التدريجي للمجتمع الإقطاعي، وظهور أنماط الرأسمالية التجارية المحلية، إنهار مركزهم عبر القرون، من تجار دوليين إلى صغار مرابين، وترك هذا الانحطاط الاقتصادي للجيتو أثراً عميقاً على وجدان اليهود القاطنين فيه، وعمق من انفصالهم عن العالم الخارجى. ففي الجيتو كان اليهودى يهرب من العالم الخارجى لعالم كان يتصور أن كل مافيه يهودى خالص، فقد كان يمارس طقوسه اليهودية بكل حرفيتها وبدون حرج، ثم يمتنع عن العمل يوم السبت، حتى يعجل بعودة المسيح الذى سيقود شعبه لأرض الميعاد، وحينما كان يحاول اليهودى أن يدرس شيئاً، فإنه كان يذهب إلى "بيت هامدراش" (٤)، أو يذهب إلى المدرسة التلمودية، ولا يقترب البتة من تاريخ الأغيار فقد كان كل ما يعنيه تاريخ اليهود كما جاء فى كتب اليهود المقدسة (٥).

=هزيمة المتمردين أمام جيش الامبراطور الرومانى هديران، انفض اليهود من حوله وأطلقوا عليه "بركوزبا" "ابن الكذاب". : (.)، الفكر الدينى الإسرائيلى أطواره ومذاهبه، مرجع سابق، ص .

() إيرتس يسرائيل هو الاسم العبرى لفلسطين أى "أرض إسرائيل". () .

() (.) اليهود واليهودية فى العصور القديمة بين التكوين السياسى وأبدية الشتات، مرجع .

() المسيرى (. عبد الوهاب)، من هو اليهودي؟، مرجع سابق، ص .

() "بيت هامدراش" מדרש בית: "المدرش" هو منهج فى تفسير "العهد القديم"، يحاول التعمق فى معنى آياته وكلماته والوصول إلى معانيه الخفية، أما "بيت هامدراش" فيعنى المدرسة أو دار الدراسة، وهو مكان يجتمع فيه البالغون للصلاة والدراسة بعد اجتياز المرحلة الأولى من التعليم فى "الحيدر" "بيت هامدراش" تأتى مرحلة "اليشيفاه"، وهى الأكاديمية التلمودية العليا، التى تدرس بها علوم الفقه والشريعة اليهودية. :

(.)، لمحات من الأدب العبرى الحديث، مرجع سابق، ص .

() المسيرى (. عبد الوهاب محمد)

يقول إسرائيل شاحاك (١)، في كتابه (الديانة اليهودية وتاريخ اليهود): "حتى القرن الثامن عشر كان مصطلح اليهودى متطابقاً أساساً مع ما فهمه اليهود بأنه المعنى الذى يشكل هويتهم الخاصة. وهذه الهوية كانت دينية بالدرجة الأولى". ولكن قواعد السلوك اليومية، والتغيرات التى حدثت فى أوروبا، وظهور الحركة الصهيونية، خفف من حدة النزعة الدينية (٢). وهكذا يتضح من السمات الأساسية التى ميّزت هوية اليهود فى "الشتات" فى تلك الفترة، أن العزلة التى ميزت حياتهم فى الجيتو لم تكن معظم الوقت مفروضة عليهم، ولكنها كانت فى كثير من الأحيان بمحض إرادتهم، كما أن فكرة نقاء الجنس اليهودى أثبت عدم صحتها، لأن اليهود قد اختلطت دماءهم وأنسابهم مع الشعوب على مر العصور، بالإضافة إلى أن اللغة العبرية التى كانوا يستندون عليه قد تغيرت بتغير أماكن إقامتهم فى العالم. ونظراً لأن البناء كان هشاً، فقد تأثرت الجماعات اليهودية بالأحداث والمتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التى حولها، لدرجة أن اليهود عندما جاءت حركة التنوير اليهودية، ولوحت لهم بوشاح الحرية والاندماج، لبي الكثيرون منهم النداء، وذابت هويتهم المزعومة داخل هويات الشعوب الأخرى، وهو ما سنحاول أن نلقى عليه الضوء فى الفصل القادم...

() إسرائيل شاحاك אִשְׂרָאֵל שַׁחַק (-) : يهودى بولندى، وُلد فى وارسو فى روسيا، وكا الناجين مما يُسمى "الهولوكوست"، عمل محاضراً فى الكيمياء فى الجامعة العبرية فى القدس وهو رئيس سابق لأحد الجمعيات الإسرائيلية المعنية بحقوق الإنسان والحقوق المدنية. عرف عنه نقده الصريح للحكومة الإسرائيلية وللمجتمع الإسرائيلى على وجه العموم. ته حول اليهودية أثارت الكثير من الجدل، وقد وصفه البعض "اللاسامية" على إثرها. <http://ar.wikipedia.org/wiki/1/5/2011> :

الفصل الثانى

مفهوم "الهوية" فى ضوء حركة التنوير اليهودية

obeikandi.com

حركة التنوير اليهودية: البدايات والنشأة :

تزامن ظهور حركة التنوير اليهودية المعروفة "بالهسكالاه" مع أحداث عالمية تدعو إلى تحرير الإنسان من القيود والثورة على الظلم، وكان من تلك الأحداث الإعلان المشهور لحقوق الإنسان (١٧٨٩م)، والذي كان امتداداً لإعلان الاستقلال الأمريكي، والذي أفرد الحقوق الاقتصادية للإنسان، المسئول عن نفسه وعن كرامته الشخصية، هذا النظام الفردي الذي يقوم على أساس أيديولوجيات في حد ذاته (المقصود هنا بأيديولوجية: هو فهم الإنسان لحقوقه الاقتصادية ومفهوم الحرية، والذي تم وضعه في هذا الإعلان)^(١).

وكما قال "هيجل"^(٢)، فقد بدأ فصل جديد في تاريخ الشعب اليهودي، فصل يحكى الحالة اليهودية القائمة، والتي لا تزال متعلقة بالقديم. فقد بدأ التاريخ اليهودي المعاصر مع قيام الثورة الفرنسية في القرن التاسع عشر، والذي تزامن مع التاريخ اليهودي الحديث المتجلي للعين ، وهي ثورة التحرير العظيمة التي قامت عام ١٧٨٩ م^(٣).

لقد أدى تداخل وضع اليهود الإقتصادي في شرق أوروبا، في القرن التاسع عشر نتيجة لظهور رأسماليات وقوميات محلية مستقلة، أخذت تطارد وتحاصر اليهود الذين كانوا يشتغلون بمهن وحرف لم يعد الاقتصاد الجديد في حاجة إليها، وزاد الأمر سوءاً نتيجة العزلة شبه الكاملة في الجيتو، ومنطقة الاستيطان، وبدأ المجتمع الغربي يستغنى عن الجماعات الوظيفية، وأخذ في تصفيتها بعدة طرق، منها مساعدة أعضاء هذه الجماعات (ومنها اليهود)، على التخلص من خصوصيتهم، وفي دمجهم في المجتمع، أو تشجيعهم على الاندماج^(٤).

وجاءت حركة "الهسكالاه" رغبة في التخلص من العزلة التي ميزت الهوية اليهودية، بسبب حياتهم داخل الجيتو، فأذابت بشكلٍ أو بآخر الحواجز بينهم وبين البلدان المختلفة التي يعيشون فيها، ولكن بالرغم من ذلك فقد كانت الحياة الاجتماعية والثقافية، والسياسية لليهود محدودة إلى حدٍّ ما^(٥). وقد ساعد على ذلك كما يقول "د. حسن ظاظا"، انتشار شعبة من

() Bein (Alex), Herzl (Theodore), A biography, The Jewish publication society of, America, 1940 , p. 508

() (هيجل) : هو جورج ويلهلم فريدريش هيجل (فيلسوف ألماني، ومن أهم مؤسسي حركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، رحب بثورة القرن الثامن عشر الفرنسية، وبعد أن حلت الرجعية كل أنحاء أوروبا، بعد سقوط إمبراطورية نابليون، أثر ذلك في طريقة تفكيره، وظهرت الفلسفة الحديثة، وأصبحت الثقافة والمجتمع في نظره مشحونة بالتناقضات والتوترات، بين الحرية والسلطة ، بين الذات والآخر، بين التنوير والرومانسية. : <http://ar.wikipedia.org/1/5/2010>

() Bein (Alex), Herzl (Theodore), A biography, p. 509

() المسيري (. عبد الوهاب)، تاريخ الفكر الصهيوني جذوره ومساره وأزمته، مرجع سابق، ص .

() הרמן (שמעון), זהות יהודית (משא פסיכולוגי-חברתי), שם, עמ' 36 .

اليهودية التقليدية، هي شعبة اليهود "الحسيديم" (١) ، وهم الذين وصلوا باليهودية ريبية "الجيتو" إلى التعلق بالبدع والخرافات، وادعاء فعل المعجزات، ونحو ذلك من مظاهر الجدل التي تلازم انحطاط الفكر الديني، في كل الأديان، وجموده. وفي نفس الوقت الذي كانت هذه الحسيدية تسيطر على حياة اليهود في أوروبا الشرقية وجزء من أوروبا الغربية، كان رقى العلم والثقافة في أوروبا، قد أتاح لبعض الشباب اليهودي، أن يأخذ بنصيبه من العلوم الحديثة، ويثور على الانعزالية اليهودية، وكانت طلائع ذلك في حركة الوعي الفكرى اليهودى الذى عاصر الحسيدية، والتي أطلق عليها "الهسكالاه" أى التنوير والنفهم واليقظة (٢).

ووفقاً للهسكالاه، فإن البداية الحقيقية للتاريخ الإنسانى تكمن، فى سيطرة العقل على الفكر الإنسانى - تطوير المعرفة - فى كل مجالات الحياة فى المجتمع الإنسانى، أى تطوير مجتمع عقلانى (٣).

وقد رأت حركة التنوير أنه من حق الدين اليهودى أن يحظى بمكانة محترمة خارج الجيتو، وأن من الخطأ أن يظل اليهود داخل الجيتو حتى مجيء "المسيح المخلص" (٤)، فالدين اليهودى كان الشغل الشاغل لليهود على مدى ما يقرب من ألفى عام. فقد كان يمثل الجيتو شكلاً واحداً من أشكال تقاليد وتعاليم الحياة اليهودية، وعلى الرغم من وجود تعاليم كثيرة ومتنوعة داخل اليهودية، ثقافية وإنسانية، إلا أن تعاليم الحياة داخل الجيتو منغلقة وتقتصر على سكانها فقط، ولا تتسع سوى لواحدة منها (٥).

ولذلك كانت دعوة حركة التنوير اليهودية للاندماج فى المجتمعات التى يعيشون فيها بمثابة طوق النجاة لكثير من اليهود، للهروب من أسوار الجيتو التى تعزلهم عن العالم، وفى إحدى المقالات تحدث المؤرخ "لويس نامير" (١٩٦٠م-١٩٨٨م) عن مشكلة اليهود، ووصف فيها، بدقة وبراعة، تأثير حركة التنوير على الأعداد الكبيرة لليهود بقوله: "وكانها الشمس على

() الحسيدية חסידים : هى حكة دينية واجتماعية أسسها "ربى اسرائيل بعل شيم طوف" (اسرائيل صاحب السمعة الطيبة) (-) . ودعت الحسيدية إلى تأكيد قيمة الصلاة والعبادة الشخصية ونبتت دراسة التلمود، حيث دعت للعبادة بطريقة جديدة لا يلتزم فيها المتعبد بكتاب للصلوات، وانما يمارس العبادة بشاشة وفرح من خلال الرقص، إلا أنها دافعت عن التقاليد الدينية اليهودية عندما ظهرت الهسكالاه، وأول كتب الحسيدية هو "تاريخ يعقوب يوسف" للربى يعقوب يوسف الذى طبع عام (. . : (. سعيد عبد)، دراسة معجمية لمصطلحات الأدب، مرجع سابق، ص - . () (.) ، الشخصية الاسرائيلية، مرجع سابق، ص .

() אגסי (יוסף), בין דת ולאום, לקראת זהות לאומית ישראלית, שם, תלם 66.

() "المسيح المخلص": هو المخلص المنتظر لليهود، والذى سوف يخلصهم ويبدأ عهداً جديداً، وهو "أيام المسيح"، حيث يعيش البشر حياة سعيدة، قائمة على السلام والعدل، وقد أدى هذا الأمل إلى ظهور حركات مسيحية فى تاريخ اليهود تتعجل النهاية، حيث يرد فى النبوءة المسيحية فى التلمود والمدراشيم، أن المسيح ابن داوود سينقذ اليهود من ضائقتهم، ليحقق نبوءة الدولة اليهودية الكاملة المؤسسة بأحكام التوراة. وسوف يسبق مجيء المسيح المخلص، فترة من الاضطرابات الشديدة أو ما يُسمى "الأم مجيء المسيح כבלי משיח". : (.) ، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية،

() אגסי (יוסף), בין דת ולאום, לקראת זהות לאומית ישראלית, שם, תלם 267.

نهر جليدي، حيث زالت القشرة الخارجية وتبخرت، وانصهر جزء كبير من النهر في طوفان مضطرب من المياه التي غمرت الوديان، بينما تجمع باقى النهر فى برك ماء راكدة (١).

وكان مهد "الهسكالاه" ومركزها فى برلين، حيث يعتبر الفيلسوف الألماني "موسى مندلسون" (٢)، هو أول من أجرى الاتصال الفعلى بين اليهود وثقافات الدول الأوروبية، ثم امتدت حركة "الهسكالاه" إلى دول غرب أوروبا، ووصلت إلى روسيا، حيث كان هناك مركزان للهسكالاه فى روسيا، أحدهما فى ليتوانيا، والآخر فى فولينيا. وأفتتحت أول مدرسة يهودية لتعليم المرأة فى روسيا عام ١٨٣٦ م، إلا أن نظراً لزيادة عدد اليهود هناك، تم اضطهاد المتنورين، ونبذهم من المجتمع اليهودى نفسه (٣).

وكذلك نمو الرأسمالية الروسية السريع، ساهم فى إفشال حركة "الهسكالاه"، فالتخلف الحضارى المتطرف للجماهير اليهودية، وارتباطهم بحرف لم تعد موجودة، مثل التجارة البدائية والربا، جعل من عملية التكيف مع الواقع الاقتصادى والحضارى أمراً عسيراً للغاية، خاصة وأن المتنورين كانوا من الأرستقراطيين، والأثرياء، والمتقفين، وكان لهم من الخبرات ما هو مطلوب اقتصادياً، عكس ما كانت عليه الجماهير اليهودية العادية (٤).

ومن الأسباب أيضاً التى أدت إلى عدم استمرارها، أن حركة الهسكالاه كانت حركة مثالية، حاولت رؤية كل البشر متساوين، وبناء فلسفة سياسية تقوم على فكرة حرية الإنسان كإنسان، ولكن هذه النظرية غير واقعية، وقد ساهمت هذه السمة فى فشلها (٥).

كما أن الذين يؤمنون بالتماسك الداخلى للأعراق والمجتمعات، وكذلك من رأوا أن الديانة اليهودية وحدها هى التى تقول الحقيقة، قد اتهموا أتباع "الهسكالاه" بعدم الولاء، والهجر، بل واعتبروهم خونة وماكرين (٦).

() Bentwich (Norman), Hebrew university Garland (A silver jubilee symposium) constellation books, London, p.18

() () משה מנדלסון () : القائد الروحي لحركة التنوير اليهودية، ولد فى ديسلبو، وتلقى تعليماً دينياً، ثم سافر انيا. المذهب العقلى، الذى ينبذ القومية، وينكر الفردية العنصرية للشعب اليهودى، ونادى بضرورة تعلم اللغة الألمانية للوصول إلى الدوائر الألمانية المثقفة، فقام بترجمة الكتاب المقدس إلى الألمانية، ومن خلال هذه الترجمة حصل اليهود على مفهوم دنيوى . وفى كتابه " " () بحث فى العلاقة بين الدين والدولة فيما يخص المسألة اليهودية فى أوروبا فى العصر الحديث. : () (نازك)، أضواء على الأدب العبرى الحديث، مرجع سابق، وأنظر أيضاً: האנציקלופדיה העברית, כרך עשרים ושלשה, שם, עמ' 518 .

() () (نازك)، أضواء على الأدب العبرى الحديث، مرجع سابق، ص .

() المسيرى () عبد الوهاب محمد، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، .

() אגסי (יסף), בין דת ולאום, לקראת זהות לאומית ישראלית, שם, עמ' .

() Bentwich (Norman), Hebrew university Garland (A silver jubilee symposium), p.19.

وانقسمت الآراء نحو الهسكالاه إلى فريقين: فريق يؤمن بالتقاليد القديمة، ومتعصب بشكل خطير للدين اليهودي، وللتعاليم اليهودية، ويعارض أى تجديد، ويفضل البقاء داخل أسوار الجيتو الجغرافى، والفكرى . وفريق آخر يؤمن بالتطوير، والتجديد، والتتوير، ويهدف إلى تحطيم أسوار الجيتو، وإخراج اليهود من العزلة، ويرى أن تكون اليهودية ديانة فقط وليست قومية، كما يرون أن مشكلة اليهودى المضطهد سوف تُحل بالاندماج (١).

وقد كانت من نتائج حركة التتوير اليهودية، أن أصبحت هناك أنماط مختلفة من الحياة، أثرت فى شخصية اليهودى، وساعدته على بناء هوية جديدة تختلف عن تلك الموجودة فى الجيتو:

الهوية فى ضوء حركة التتوير اليهودية :

لم تكن ملامح الهوية التى ظهرت بعد حركة التتوير "الهسكالاه" والتى منحت اليهود حقوق المواطنة وفتحت أمامهم الطريق للمشاركة فى الحياة الإجتماعية والسياسية للمجتمعات التى يعيشون فيها، كذلك الهوية التى تطورت فى الجيتو المنعزل، عندما كانت الحدود الفاصلة بين اليهود وغير اليهود واضحة تماماً وجليّة، ولكن الخروج من الجيتو -عكس ما كان يتمنى المتأملون- لم يستوعب اليهود فى المجتمع المحيط بهم. إن التغير فى حياة اليهود لم يحدث فى المجتمعات المختلفة فى آن واحد، كما إنه لم يكن بنفس الدرجة. لقد بدأ الأول عند يهود غرب أوروبا ولم يصل إلى شرق أوروبا إلا بعد فترة وبصورة أكثر تحديداً. لكن المهاجرين الذين جاءوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية جاءوا ومعهم ذكرياتهم وأيديولوجياتهم الخاصة بهم، وتطورت هيئة وشكل المجتمع اليهودى والأمريكى، كمجتمع مابعد التحرر، ودون أية حاجة للدخول فى صراع مع المشكلات التى جاءت بعدها (٢).

فمع انهيار أسوار الجيتو، وفتح أبواب الاندماج ، ومع إدراك بعض قيادات الجماعات اليهودية الفكرية ضرورة تحديث الهوية اليهودية، لتتفق مع الأوضاع الجديدة، بكل ما تعطيه لليهود من حقوق جديدة وبكل ما تلزمهم به من واجبات جديدة أيضاً، فقد كان متصوراً أن تحديد الهوية اليهودية هو السبيل الوحيد لإحتفاظ اليهودى بيهوديته (الدينية أو الإثنية) (٣)، وتحقيق الاستمرار لها داخل المجتمعات التى تعيش بينها، إلا إنه قد حدث عكس ما كان متوقع. إذ إندمج اليهود تماماً فى مجتمعاتهم، بحيث أصبحت أنماط سلوكهم وأسلوب حياتهم لا تختلف كثيراً عن الأنماط والأساليب السائدة فى مجتمعاتهم، أما البعد اليهودى فى هويتهم، فقد أصبح

(١) . (سواء عبد اللطيف حسين) ، الجيتو اليهودى، مرجع سابق ، ص .

(٢) (הרמן (שמעון), זהות יהודית (מהו פסיכולוגי-חברתי), שם, עמ' 54-55 .

(٣) الإثنية : هي مجموعة بشرية لها خصائص مميزة تحددها الثقافة المشتركة والهوية وهي تربط أعضائها مع بعضهم البعض عادة على أسس مشتركة، وإعتراف الآخرين لها كمجموعة متميزة على أسس مشتركة ثقافية ولغوية وبيئية أو سمات بيولوجية وسلوكية. : http // ar. Wikipedia .org / wiki/ 1/1/2012

هامشياً للغاية، وظهر أن الهوية اليهودية الجديدة (من منظور خصوصيتها اليهودية الدينية أو الإثنية)، هوية هشّة رخوة تنتمي يهوديتها إلى المظهر والقشرة لا إلى المخبر والجوهر (١). فعلى المستوى الدينى: نجد أن الانتماء الدينى أخذ شكل الإيمان ببعض الأفكار الغامضة عن وجود الإله، وبعض المبادئ الأخلاقية العامة الموجودة فى معظم الأديان، والمنظومات الأخلاقية. فقد اختفت تقريباً الشعائر الدينية اليومية التى تنظم حياة اليهودى، وكذلك اختفت الشعائر الأسبوعية والشهرية، ولم يبق إلا الشعائر السنوية ذات الطابع الاحتفالى، والتى لا تتطلب أية عملية ضبط للذات (٢).

ويلاحظ من الناحية الإثنية أن اليهود الجدد يتحدثون لغة البلد الذى ينتمون إليه، وقد يستخدمون كلمة عبرية هنا وكلمة يديشية هناك من قبيل التظاهر الإثنى، وتُعد الإنجليزية، وليست العبرية، لغة معظم يهود العالم، وهى اللغة التى يتحدثون ويحبون ويكرهون ويتعبدون ويدبجون مؤلفاتهم الدنيوية والدينية بها، كما يعد تزايد معدلات الزواج المختلط من أهم علامات تآكل الهوية اليهودية وهشاشتها، فقد أصبحت هذه الهوية اليهودية الجديدة لا تشكل عائقاً أمام الزواج المختلط فى المجتمعات الأوروبية، فحينما يقرر شخص غير يهودى، مثلاً، أن يتزوج من يهودى، رجلاً كان أو امرأة، فإن إنتماء هذا الأخير لا يمس جوهر رؤيته للكون أو لنفسه، ولا يؤثر فى سلوكه بشكل كبير (٣).

ومن جهة أخرى، و نتيجة لما سبق، فقد ظهر مصطلح (يهودي غير يهودي)، لتشير إلى أى مواطن من أصل يهودى تآكل إنتماءه اليهودى (سواء من الناحية الإثنية أو الدينية) أو اختفى تماماً، فهو أنسان مندمج تماماً فى محيطه، يُقبل على الزواج المختلط ، ولا يعيش فى جيتو، أو فى أى قسم من أقسام المدينة مقصورة عليه، كما لا يتسم بأى تميز وظيفى، أو مهنى، أو ثقافى، فهو من اليهود الجدد أصحاب الهوية اليهودية الجديدة، ورغم كل هذا يُصنف على إنه "يهودى"، أما من قِبَل ذاته أو من قِبَل الآخرين، ومن ثمّ تصبح يهوديته إما شيئاً مفروضاً عليه من الخارج، أو إدعاء ليس له ما يسانده، لا فى سلوكه ولا رؤيته (٤).

وقد وصل الأمر إلى ما طرحته النظرية الرومانسية، التى تأثرت بها الحركات الأوروبية، أن اليهودى لكى يحصل على المساواة الكاملة، التى نادى بها الهسكالا، لابد وأن يكون هو ابن هذه الأمه التى يعيش بينها، ولكن كيف للأمه المسيحية أن يكون لها ابن غير مسيحى؟ ، وهذا التساؤل أدى إلى إقتراح أن تُسلب من اليهود حقوقهم ، وأن يُسجنوا داخل الجيتو، ويتم رؤيتهم

() المسيري (. عبد الوهاب)، من هو اليهودى؟، مرجع سابق، ص .

() المسيري (. عبد الوهاب)، من هو اليهودى؟

() - .

() .

كأقلية (كغرياء أبناء أم الأخرى)، فيقوم نتيجة لذلك بتصحيح مساره ثم يتتصر ، وبذلك يحصل على المساواة الكاملة (١).

وعلى الرغم من أنه كان هناك بعض اليهود ممن يشعرون بالتآلف بسهولة مع عضويتهم داخل الجماعة اليهودية في "الشتات"، بل ويرون أن هذه العضوية هي رمز لتمييزهم، على الرغم مما يواجهونه من صعاب، ويرون أن انتسابهم للجماعة يقوى من ثقتهم بأنفسهم. إلا أن على الجانب الآخر، نجد يهود آخرين يرون أن انتسابهم للجماعة اليهودية "عار" عليهم، ويجعلهم يُعانون، ويشعرون بالنقص تجاه هويتهم، والتي لا يمكن أن يهربوا منها إلا بالتحويل الرسمي منها إلى دين آخر، ويشعرون بأنهم حتى ولو فعلوا ذلك، فلن ينسى جيرانهم غير اليهود أصلهم اليهودي (وكذلك اليهود أنفسهم سيتذكرون هذا في مناسبات مختلفة)، وبمعنى آخر، فإن الفرد يحاول أن يرفض جزء من نفسه. وقد وصف الفيلسوف والروائي والناقد الفرنسي "جان بول سارتر" (١٩٠٥-١٩٨٠) تلك المحنة النفسية، والتي أطلق عليها محنة اليهودي "غير الحقيقي"، وهو الذي يختلف عن اليهودي "الحقيقي"، حيث يريد الثاني أن يعيش ويرتقى بوضعه كيهودي، وهو الأمر الذي يجبر اليهودي "غير الحقيقي"، ويجعله يحاول أن يهرب من هذا الوضع، ويقول : "كلما دخل بين "الجويم" لكى يهرب من الواقع اليهودي، يشعر أنهم يتقبلونه كيهودي، وفي كل لحظة يروونه يهودي، فحياته بالقرب من المسيحيين لم تجلب له التجاهل الذي يبحث عنه، وهذه الحالة تجعله في توتر دائم (٢).

انعكاس أزمة الهوية في أدب "الهسكالاه" :

تأثر الأدب العبري بالأدب الأوروبية في فترة "الهسكالاه"، وتحول الإتجاه الأدبي من ديني إلى دنيوي، وأخذ الأدباء على عاتقهم مهمة تحرير يهود الجيتو اجتماعياً، ودينياً، وفكرياً، يحاكون أسلوب كتاب الغرب. فكتبوا الشعر والروايات المسرحية للتعبير عن أفكار الأدباء الذين كانوا يعملون على تغيير الحياة الاجتماعية لأبناء شعبهم. وكانت مادة الروايات المسرحية مستقاة من الكتاب المقدس، وكذلك الآداب الأوروبية الحديثة (٣).

فقد أحدثت "الهسكالاه" شبه انفصام في الشخصية اليهودية نتيجة هذه الأزمة الذي لا ينتهي أبداً، بين رغبة اليهودي في الحفاظ على وضعه اليهودي، الذي يحفظ له شخصيته وكيانه عن طريق الانعزال عن المجتمع، وبين ضغوط الكيان الاجتماعي لاستيعابهم واندماجهم وتوثيرهم بما يجري في العالم المحيط بهم. ونجد أن الأدب العبري قد عبر عن هذه الأزمة في الأعمال الأدبية ل "دافيد فريشمان" (١٨٦٠ - ١٩٢٢) كما في قصة "يوم عيد الغفران יום

() אגסי (יסוף), בין דת ולאום, לקראת זהות לאומית ישראלית, עמ' 66-65.

() הרמן (שמעון), זהות יהודית (מחשבות פסיכולוגיות-חברתיות), שם, עמ' 32.

() (. نازك), أضواء على الأدب العبري الحديث، مرجع سابق، ص .

הכפרים" (١٨٩٢)، "صلاة الموتى תזכורת למזמות" (١٩٠٤)، "تلاوة عيد الأسابيع תקון ליל שבועות"، "الرجل والبايب אצא ומקמתן"، والتي كانت تمثل صراع الشخصية اليهودية بين الانغلاق والتفوق داخل النفس اليهودية المتمسكة بالتقاليد والشرائع، وبين الإنفتاح على العالم، والذي كان ينتهي غالباً بالشخصية اليهودية إلى حالة الإكتئاب، الذي أصبح ضمن مكونات نفسية غالبية يهود الجيتو، والذي نتج عن محاولة الهروب من ماضى يريد نسيانه، وحاضر فشل فيه (١).

ومن الأدباء الذين عبروا عن أزمة الهوية داخل الشخصية اليهودية، خاصة بين رغبتهم في التعلق بالقديم والانفتاح على الحديث، كان "موشيه حايبم لوتسانو" (٢)، والذي نستشف من أعماله الأدبية وجود الناحية الدينية فيه دائماً، فهو يهدف بذلك إلى ربط اليهود بالفلسفة الأصلية الدينية. فنجد في "מלמשה למשה" قصة شمشون يتناول موضوعاً دينياً لكنه يلبسه ثوباً عصرياً، مبتعداً كل البعد عن كل أثر ديني، وهو بذلك يصبغ عمله بروح العصر مع وصل الرباط وثيقاً بينه وبين التراث القديم، كما ظهرت الناحية الدينية واضحة أكثر في رواية "מגדל לא حصن القوة" والتي يبرز فيها عودة اليهودى إلى التصرف السليم بعد ارتكابه خطأ، محاولاً بذلك إثبات أن اليهودى عظيم وممتاز، وفى ذلك تبرير لإختيار الرب له. كما نجد ذلك واضحاً أيضاً فى روايته "ההילה למשרים" مدح للمستقيمين" حيث يثبت انتصار الحقيقة دائماً، ومحاولة الخديعة والزيف التغلب على العقل اليهودى، الذى ينتصر فى النهاية، حتى يستحق المكانة التى يدعى اليهود أن الله قد خصهم بها. كما تعتبر انعكاساً رمزياً لتجربة "لوتسانو" الشخصية، وصراعه مع أبناء شعبه الذين بدلوا تعاليمه بتعاليم أخرى (٣).

وقد عبر الأديب "نفثالى هيرتس فيزل" (٤) أيضاً عن هذا الصراع المتمثل فى الرغبة فى التعلق بالقديم والانفتاح على الحديث. فعلى الرغم من تشبعه بالمذهب العقلى الذى كان سائداً

- () . (. سناء عبد اللطيف حسين) ، الجيتو اليهودى، مرجع سابق ، ص 400 .
- () "موشيه حايبم لوتسانو משה לוי לוי" (-) : شاعر صوفى وكاتب أخلاقى، وُلد فى () فى إيطاليا () . وقد تلقى تعليماً دينياً، حيث اكتسب معرفة عميقة بالمقرا اللاتينية والإيطالية والفرنسية واليونانية بدأ نشاطه . فآلف كتابات دنيوية، كما قدم كتابات صوفية وأخلاقية، إلا إنه نال شهرته من خلال قرضه للشعر، من أعماله " מגילת סתרים " "طريق المعرفة דרך תבונות" "طريق شجرة الحياة דרך עץ החיים" وفيها شدد على الأهمية الخاصة لدراسة التوراه من خلال " " () . : האוציקלופדיה העברית, כרך נשרים ואחד, שם, עמל 518...
- () . (. نازك) ، أضواء على الأدب العبرى الحديث، المرجع السابق، ص - .
- () (نفثالى هيرتس فيزل נפתלי הרץ ויזל) (-) : كاتب وباحث، من رواد حركة التنوير اليهودية، ولد فى هامبورج، ثم انتقل مع والديه إلى كوبنهاجن، تلقى تعليماً دينياً، حيث كان والده من كبار التجار، ومقرب من البلاط الملكى، درس وقرأ الأدب والعلوم بلغات كثيرة، من أشهر أعماله الشعرية "أغانى המجدשיר" والتي بفضلها، يرجع إليه الباحثون بداية الشعر العبرى الحديث، والأدب أيضاً. : האוציקלופדיה העברית, כרך ששה-נשר, שם, עמל 70

فى ذلك الوقت، إلا إنه كان متحمساً دينياً. ويظهر ذلك فى بعض أعماله مثل: كتاب "הקדמה לשלום אמונת אבות" (١٨٨٢م - ١٨٨٥م) حيث وضع فيها ضرورة الدراسات الدينية، وخاصة دراسة اللغات الحديثة ودراسة عبرية الكتاب المقدس، وفى ذلك مساهمة للعصر مع عدم فقدان الحلقة الدينية. ومن أعماله أيضاً "جنة مغلقة" الذى يدرس النواحي الفيلولوجية^(١) للغة العبرية، لإحياء التراث العبرى القديم، من أجل جعلها لغة قوية حية إذا ما استخدموها مستقبلاً لغة قومية^(٢).

ومن هنا يمكننا القول أن الأديب نفسه كان مشتتاً بين محاولة اندماجه مع الشعوب الأخرى، وبين ارتباطه بالتراث القديم، ومحاولة إحياء اللغة العبرية والتي تُعد أحد عناصر الهوية اليهودية.

وقد عبّر "أفراهام مابو عن (الهوية اليهودية الزائفة) فى روايته "المناق لا צדק לא"، التى اعتبرت سلاحاً لحركة "الهسكالاه" ووثيقة إدانة لخصومها، يصور "مابو" النزاع بين قادة النظام القديم للحياة اليهودية، وبين زعماء "الهسكالاه"، كما أن "مابو" يصور فيها معارضى "الهسكالاه" كمجموعة من المنافقين الذين يرتكبون الجرائم فى السر، بينما يغلفون أعمالهم هذه بستار من الورع والتقوى، وذلك لإيهام أبناء طوائفهم بالمضى خلفهم. وفى الرواية يشن هجوماً على تلك الجماعة المتجسدة فى "رى جبريئيل" الذى يتملق ويتلون طبقاً لظروف الساعة، رغم التظاهر بحرصه الشديد على التمسك بنصوص الشريعة^(٣).

إن حركة "الهسكالاه" التى أخذت فى الانتشار، أواخر القرن الثامن عشر، أحدثت ثغرات عميقة داخل صور وأشكال التعاليم اليهودية فى الحياة اليهودية، وداخل بعض المجتمعات أكثر من التى كانت تنتمى إليها. فهم كانوا يهوداً آمنوا أنهم قادرين، ويجب عليهم أن يفصلوا هويتهم اليهودية عن حاضريهم، ولتحديد مجالات حياتهم الخاصة، أو كما قال "يهودا ليف جوردون" فى ذلك الوقت: "إن "الهسكالاه" تتجه إلى الديار، وإلى العالم فى الخارج، ولذلك أتعرق فى النظر إلى ما بداخلى. إن "الهسكالاه" خرجت لتجعلنى أقل يهودية وأكثر إنسانية، ولكننى أريد أن أكون أكثر يهودية، لأن هذا الأمر هو الذى سوف يجعلنى أكثر إنسانية"^(٤).

(١) "الفيلولوجية פילולוגיה": فقه اللغة، وهو يعنى دراسة اللغة كوسيلة لدراسة الثقافة والأدب. كما يعنى أيضاً علم اللغة التاريخى المقارن (قديماً). فقه اللغة هو العلم الذى يهتم بالثروة اللفظية حيث جمعها، والنظر فى أصولها ونوعها، وما يطرأ عليها من تغيير على مر الزمن. (٢) سعيد عبد - عربى مع مسرد للألفاظ العبرية، دار الكتاب للنشر، الطبعة الثانية، القاهرة

(٣) (نازك)، أضواء على الأدب العبرى الحديث، -
(٤) ()، الرواية التاريخية فى أدب أفراهام مابو، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، كلية الآداب جامعة عين شمس

(٥) (הרמן (שמעון)، זהות יהודית (ממש פסיכולוגיה-חברתית)، שם، עמ' 55.

ولم يقتصر الأمر على النشر فقط، في الدعوة لهوية تتلاءم مع أفكار حركة الهسكالاه، بل تعداه إلى الشعر.

وتعتبر قصيدة "استيقظ يا شعبي הקיצה למי" (١٨٦٣م) للأديب "يهودا ليف جوردون"، نموذجاً دعائياً لحركة "الهسكالاه"، فيقول :

הקיצה למי ועד מתי תישנה?	استيقظ يا شعبي، فإلى متى النوم؟
הן גז הליל, השמש האירה	ها هو الليل انجلي والشمس أشرقت
הקיצה, שא עינך אנה ואנה	استيقظ وارسل ناظريك هنا وهناك
וזמנך ומקומך אנה הכירה	واعرف أين زمانك ومكانك

ארץ עדן הן לך תפתח	ها هي أرض الرفاهية تفتتح لك
בנה, "אחינו" לך יקראון עתה	أبناءؤها "إخواننا" الآن ينادونك
עד מתי תהיה קרובם סاوחר	فإلى متى ستظل كالضيف بينهم
למה מנגד להם תלך אחת? (١)	ولماذا تخالفهم طريقك؟

ويختتم جوردون هذه القصيدة بالشعار المأثور :

הזה אדם בצאתך ויהודי באהלך (٢) كن يهودياً في بيتك وإنساناً خارج بيتك
والتي أصبحت بعد ذلك شعار حركة "الهسكالاه".

نلاحظ أن الشاعر يستحث اليهود للنهوض من غفلتهم، والاندماج ومجازاة الشعوب التي يسكنون معها، ومحاکاتها في طلب البحث والعلم.

وقد رأى الشاعر يهودا ليف جوردون، في الفكر الديني المتشدد، نقطة الضعف الأساسية في الوجود اليهودي. وأنه لكي يحيا اليهود حياة سليمة، ولكي يزدهر المجتمع اليهودي، لا بد من التحرر من هذا الفكر، من خلال دعوته إلى السخرية من التعليم الديني وفضح نواقصه، وعدم التمسك بحرفية الدين الذي لم يجر على اليهود سوى العدم، ولم يبحث التغيير من داخل اليهودية نفسها، بل استعار أفكار ومفاهيم الحضارة الغربية الأوروبية، وحاول أن يطبقها على الحياة اليهودية. فقد استطاع جوردون أن يُلخص نظرة اليهودي الحديث، للتقاليد الدينية اليهودية الموروثة ، حيث يقول في قصيدته التاريخية "بين أنياب الأسود בין שני אריות " التي ظهرت في عام ١٨٦٥م:

() غوردون(يهודה لیب)، סתבי יהודה לیب גורדון, שיחה, הוצאת דביר, הדפסה חמישית, תל-אביב 1964, עמ' ٢٠.

() שם.

כוננו סתי מדרש - ומה הורוך?
הורוך לשמור רוח, לחרוש אבן
לחשוף מים בברסה, לדוש תבן
הורוך זה להלך נגד החיים

לחיות מת בארץ חי משמים

וסמנו חי לדורות הציוגור (')

"أقاموا المدارس. وماذا علموك؟"
"علموك أن تحفظ الرياح وتحث الحجر"
"أن تكشف عن الماء في البركة وتدرس التبن"
"آه ، علموك السير عكس الحياة"

"أن تكون ميتاً في الأرض حياً في السماء"

"والمحنت الحي قدموك للحياة"

نلاحظ أن الشاعر استخدم بعض التعبيرات التي يشير بها إلى أن التمسك بحرفية الدين لن يعود بالفائدة على اليهود سوى العدم. مثال ذلك: "حرث الحجر، درس التبن، السير عكس الحياة، حياً في السماء، المحنت الحي".

ومن الأدباء الذين ظهروا في تلك الفترة، الأديب "ميخا يوسف برديتشفسكى" (٢)، وهو الذي استخدم قصصه منطلقاً إلى تحرر ذاتي ثقافي وإنساني للإنسان اليهودي، حيث وضع في أسس العلاقات الإنسانية للإنسان اليهودي مع ذاته، ومع ميراثه، ومع تاريخه، ومع موطن إقامته أيضاً، كما جاءت أعماله القصصية معبرة عن المجتمع اليهودي بكامل حياته المتأججة، فهي تعطي تعبيراً عن اليأس والحيرة والاضطراب (٣). وتعتبر المجموعة القصصية "من عالمين 1917-1918" هي أفضل معبر عن المجتمع اليهودي في تلك الفترة. فهذه المجموعة وغيرها تصور تمزق اليهودي في العصر الحديث بين تقاليد اليهودية، وروح الحضارة الغربية، وتتضمن نماذج بشرية مختلفة، تجابه الجمود الفكري، وتتطلع إلى أفكار وقيم جديدة، بعيداً عن التراث اليهودي. إن إحدى المشكلات الأساسية للشباب اليهودي في العصر الحديث، كانت المواجهة مع نفسية مشوشة، ومع خطر فقدان "الأنا"، خاصة هؤلاء الشباب الذين عاشوا بين ثقافات ولغات

() גורדון (מחזה לים), סמבי מחזה לים גורדון, שם, עמ' קג .

() "מיخא יוסף ברדיטשفسקי": אדיב וباحט ונאقد עברי, ولد في اوكرانيا م وتوفى في برلين عام ١٩١٨, ينتمي لأسرة حسيدية, وتزوج وهو في سن السابعة عشر, وقد اضطلع أدب الهسكالاه, واتخذ اسماً عبرياً وهو ميخا يوسف بن جوريون, كما نشر كثيراً من القصص التي تصور الأساطير, وقد خرج عن مدرسة التلمود و مذهب الحسيديم الذي كان يعيش فيه غيره, إلى الجامعات الأوروبية, حيث حصل على دكتوراه في م في برلين. ونقد العهد القديم, ودعا إلى تحرير الأدب العبري من قيود اليهودية, بعيداً عن السيطرة الصهيونية على التفكير والعقل, ورأى أن النقد الذاتي هو الكفيل بتطوير الشخصية اليهودية. هرت مؤلفاته بالألمانية, يصنف على أنه مفتتح الأدب العبري الحديث, ومن أهم مؤلفاته الأدبية "بيت هامدراش בת המדרש" () "في ضجيج الرعد בסתר העם" "בית תבעה בית הקש" "المخيمن מחזים". : שאנן (אבודם), מלון הספרות החזקה העברית והכללית, שם, עמ' 130-131 .

() () , تيار الوعي في الأدب العبري الحديث, رسالة ماجستير (غير منشورة), كلية الآداب جامعة عين شمس,

مختلفة، وحلموا بمجتمع طبيعي، يتحرر من حواجز، كاللغة والأمة وغيرها (١). ويمكن أن نبلور فلسفة "برديتشفسكى" وأفكاره الثورية الداعية إلى قطع الصلة بالماضى من أجل صلة جديدة مع الحاضر ومعاصرتة، كما فى روايته القصيرة "المخيمان מזמנים" (٢) (١٨٩٩م) :

" שם הוא שוכן ושם הוא לומד, שם חזשוב לו מחשבות והגיונות סותרים ועוקרים, מחשבותיו שלפנים והגיונותיו שלפנים; ושם הוא חולם חלומות חדשים על קברות חלומות אשר מלפנים... לפנים היה כולו רק בן לעזלת-אבות והיה שומר משמרת אבות, ועתה יצה מחוף לחומים ועמל הוא למצל כל מה שרכש לו בין החומות... הוא יצא מאפלה לאור, מעבודות לזירות; " (٣) .

" هناك يسكن وهناك يتعلم، هناك حيث يتفكر بأفكار وتأملات غامضة وعقيمة، أفكاره وتأملاته السابقة، وهناك يحلم بأحلام جديدة عن دفن أحلامه السابقة ... لقد كان فيما سبق مملوكاً كله لميراث آبائه فقط، وكان قائماً على خدمة الآباء. أما الآن فقد خرج عن حدودها ويعمل على وقف كل ما اكتسبه بين الأسوار ... لقد خرج من الظلام إلى النور، من العبودية إلى الحرية ."

يعبر هنا "برديتشفسكى" عن تلك النفسية المشوشة للشباب اليهودى من خلال بطله "ميخال" الشاب اليهودى الذى يترك مسقط رأسه فى شرق أوروبا، إلى مراكز الهسكalah الأوروبية ليترك أبواب العلم والحضارة الأوروبية والمدنية الحديثة. وعند عودته لبلدته يجد نفسه غريباً فى سلوكه وتفكيره وأفكاره ومبادئه، ويجد نفسه معزولاً فى بيته، ومنفياً بلا عودة من عالم التقاليد، الذى أراد أن يضيف إليه، دون أن يتخلى عنه (٤).

إن وضع "برديتشفسكى" بين الأجيال بالنسبة لجيله، مقدرته على أن يحمل على عاتقه ميراث الأجيال، وربطها مع احتياجات الفرد. ومع بداية القرن العشرين، كانت قصصه هى نقطة الإنطلاق نحو الحداثة (٥) فى الأدب العبرى الحديث، ودعوته "لتغيير القيم"، وتأسيس قيم

() بوديلايسكى (م. ز.)، مشغى لعولמות، آخرית דבר מאת: צבוחה כגן, הוצאת דביר, תל-אביב 1988, עמ' 219.

() "المخيمان מזמנים": اثن الرواية حول شاب يهودى فقير هو "ميخال، ينتقل إلى مدينة صغيرة طلباً للعلم، وهناك يفشل فى العمل ويضطر إلى العيش على المعونة التى يرسلها والده إليه، وتتصارع بداخله قوتان، قوة جذوة وثقافته اليهودية التى ينفر منها، وقوة الحضارة الغربية المتفتحة التى يتطلع إليها، والتى من أجلها خرج من بيت أبيه وبلدته، ولكنه يُصدم فى نهاية الرواية، عندما تسوقه شهرته إلى امرأة فى الخامسة والثلاثين من عمرها، يكتشف بعد ذلك أنها أم الفتاة التى يحبها، ويضطر على أثر الصدمة إلى تركها وترك البلدة كلها، بعد أن دمر مثله وأخلاقه وأحلامه. : () (، تيار الوعى فى الأدب العبرى الحديث، مرجع سابق،

() بوديلايسكى (ميسا يوسف)، כתבי מ. ז. بودייליסקי, כרך א, הוצאת דביר, תל-אביב 1965, עמ' 22.

() (، تيار الوعى فى الأدب العبرى الحديث،

() - : يطلق على الأدب الذى يولع بالتجديدات دائماً، والذى يبحث عن أشكال جديدة من التعبير، مثل ماياكوفسكى فى الأدب الروسى، وأفراهام شلونسكى فى الأدب العبرى، فلم يستطع كل منهما أن يعبرا عن نفسيهما بأدوات ووسائل قديمة، وذلك لأن كل عصر فى - نظرهما - يعبر عن نفسه بلغة خاصة به.

: (. سعيد عبد السلام)، دراسة معجمية لمصطلحات الأدب، مرجع سابق، ص .

جديدة، جاءت لكي تحافظ ليس فقط على "الأنا" كمفهوم شخصي ضيق، وإنما لتحافظ أيضاً على الأنا بالمفهوم العام الواسع (١).

وتُعد قصصه: "في الوادي הוואדי"، "الصيف والشتاء הקיץ והחורף"، "الأبناء والأباء הילדים והאבות"، "الهروب ההربה"، من أفضل أعماله الأدبية التي تعبر بوضوح عن المجتمع اليهودي، في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن العشرين، هذا المجتمع الذي يتجلى هنا في كامل حيويته، التي تفجرت من الأزمة القاسية التي لحقت به في تلك الفترة، والتي طرحت تعبيرات كيأس، وحيرة، وعلامات استفهام الإنسان اليهودي في العصر الحديث، عبرت أيضاً عن قوى الحياة العظمى الكامنة في نفسه. ومن خلال مسيرة "إعرف ذاتك"، كانت قصصه هي نقطة الانطلاق إلى التحرر الذاتي، الإنساني، والثقافي للإنسان اليهودي مع ذاته، وميراثه، وتاريخه، ومع مكان معيشتة أيضاً (٢).

وفي نهاية هذا الفصل يمكننا أن نستنتج ما يلي:

- أثرت العزلة التي فرضها اليهود على أنفسهم داخل أسوار الجيتو، وكذلك الاضطرابات التي حدثت في أوروبا، قبل قيام إسرائيل، على تكوين الشخصية اليهودية، فتشتت هوية اليهود بين الواقع الذي يعيشون فيه، من إحساسهم بالانطواء والشك في كل ما حولهم، وبين ما يؤمنون به، عقدة الإحساس بالتميز، وأنهم "شعب الله المختار"، وقد عبر الأدب عن طابع الحياة في الجيتو، ومدى تأثير ذلك على تشكيل هويتهم المنعزلة.

- وإذا كانت هوية أمة تتشكل وفقاً لعوامل كاللغة والدين وغيرها، فإننا نجد أن اللغة العبرية لم تكن فقط هي التي اعتمد عليها اليهود في حياتهم، وظهرت لغات أخرى هجينة بين العبرية ولغات أخرى. وبعد أن جاءت حركة التنوير اليهودية، اندمج معظم اليهود داخل الشعوب الأخرى، وتخلوا عن لغتهم العبرية ليتحدثون لغة هذه الشعوب.

- وكذلك تراجع دور الدين، عن التأثير على حياة اليهود، كما كان في الجيتو. ونادى الأدب بهذا الاندماج، من أجل التخلص من قيود الجيتو على اليهود. وأصبحت هوية اليهود تتحدد وفقاً لهوية البلاد التي يعيشون فيها، كل هذا ساعد على ظهور بعض اليهود الرافضين للاندماج، والراغبين في إقامة وطن لهم يجمعهم، وظهرت الحركة الصهيونية، وطرحت نفسها كهوية، وظهرت أيضاً تخطبات الهوية في المجتمع الإسرائيلي، وأدت إلى ظهور هويات أخرى كالهوية الكنعانية، والهوية الصبارية، وسوف نتناول في الباب القادم، موقف اليهود من هذه الهويات، وكيفية تناول الأدب العبري لهذه الرؤى.

() בדיאלקט (מ. י.) , משני עולמות , שם, עמ' 226 .

() שם, עמ' 219 .